1

الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية

الكاظمية - العراق



البلاغ

مجلة فكرية جامعة

العدد الثاني – السنة الاولى

ربيع الاول ١٣٨٦ هـ

تمـــوز ١٩٦٦ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق ۞ خلق الإنسان من علق ۞
اقرأ وربك الأكرم ۞ الذي علم بالقلم ۞ علم الإنسان ما لم يعلم ۞

« صدق الله العلي العظيم »


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



بعون الله وتسديده ، كان العدد الاول من «البلاغ» ، الخطوة الاولى من الخطوات الشاقة فى طريق المجلة الطويل •

المجلة التى كانت حلما لذيذاً فى مخيلة نخبة من الاساتذة والكتاب والادباء •• ممن يستشعرون حاجة البلد والفكر ، لمجلة فكرية جامعة ، تقوم بدورها البنّاء فى نشر المعرفة والثقافة والعلم والتوجيه ، باطار معلوم ، وخطة مدروسة ، وأسلوب متين حكيم ، متجنبة المزالق والمخاطر والعثرات ، مدركة لرسالتها ، مؤمنة بهدفها ، واضعة اقدامها فى محلها المناسب المرسوم لها •

فالجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية ، فى الوقت الذى حققت فيه ــ وهى ماتزال فى مقتبل عمرها المديد ان شاء الله ــ هذا الحلم المتمثل بالوليد الجديد «البلاغ» ، لتأمل فيها ، أن تكون مجلة الفكر المدرك ، ومنبر الفكرة الصائبة ، ومنطلق الرأى الناضج الثاقب

ولجنة تحرير المجلة ، وهى تقدم

لقرائها الاعزاء ، العدد الثانى ، بروح من العزم والامل والتفاؤل ، لاتغفل عن الاشارة الى ما يكتنف طريقها الوعرة ، من مصاعب ومشاكل وأزمات ، تعانيها الصحافة بصورة عامة ، والمجلات الثقافية والفكرية ذات المستوى العالى ، بصورة خاصة ، فى بلادنا ، مع الاسف الشديد .

ولنا ـ مع ذلك ـ وطيد الامل من الناس ، واكيد العزم من انفسنا ، ـ كطاقتين دافعتين ـ ان نواصل السير ـ بثقة وصبر ـ فى طريق البلاغ ، مرحبين بكل نقد منصف بناء وكلمة خيّرة نافعة ، وقولة حق صادقة ، مطالبين المفكرين وحملة الاقلام ، اعمال اقلامهم فيما ينفع الناس فيمكث فى الارض . والمجلة فاتحة صدرها الرحب لكل ما يردها منسجما مع خطها الفكرى الواضح .

ولايفوتنا أن نشيد بالصدى الرائع الذى قوبل به العدد الاول من هذه المجلة ، ذلك الصدى الذى كان له اوقع الاثر وأجمله فى نفوس لجنة تحريرها ، والقائمين عليها ، وليس بوسعنا هنا الآن نقدم أجزل الشكر والامتنان على هذا الاستقبال الرائع ، مردفين ذلك بالشكر الجزيل ايضا لمؤازرى «البلاغ» ومؤيديها ، والمتبرعين لها . راجين لهم وللمجلة ، تسديد الخطى واطراد التوفيق . والله من وراء القصد .

شعراء منسيون

من محبي آل البيت عليهم السلام

للدكتور مصطفى جواد

تاريخ الادب العربي لايزال ناقصا كتاريخ الاسلام ، والسبب في نقصانه غلبة التقليد على أكثر المؤلفين فيه ، وبقاء كثير من كتب الادب بفرعيه بين مهملة ومخزونة في دور الكتب العالمية وخزائن الكتب الخاصة ، مع مخطوطاتها الاخرى ، ولذلك كان بديهيا ان يبقى كثير من الشعراء على اختلاف طبقاتهم منسيين في تلكم الكتب الخطية ، ومنهم شعراء محبّون لآل البيت عليهم السلام ، وهم أحرى من غيرهم بأن يطلع محبو الادب على موجز سيرهم ونماذج من شعرهم الذى يعربون فيه عن ذلكم الحب الذى هو فضيلة ووسيلة : فضيلة في الدنيا ووسيلة في الآخرة ، فمنهم :

ظهير الدين ابراهيم بن نصر بن عسكر ابو اسحاق المعروف بقاضي السلاّمية وكانت قرية مشهورة من قرى الموصل في شرقيّها على مسافة خمسة فراسخ أي زهاء خمسة وعشرين كيلومترا ، وكان يتولى القضاء بها على مذهب الامام الشافعي ، والخطابة ، وقد توفي في سنة عشر وستمائة.

قال في رثاء الحسين عليه السلام : ـ

يايوم عاشوراء أذكرتني ... مصارع الاشراف من هاشم

أبكي ولا لوم على من بكى ... وانما اللوم على اللائم

ما من بكى فيك أشدّ البكا ... وناح بالعاصي ولا الآثم

رزية ما قام في مثلها ... نائحة تندب في مأتم

آل رسول الله خير الورى		وصفوة الله على العالم
مثل مصابيح الدجى عُفِّرت		وجوههم فى الرهج القاتم
رؤوسهم تحمل فوق القنا		مظلومة شلت يد الظالم
ساروا بها ياقبحها فعلة		مثل مسير الظافر الغانم
كأنما الزهراء ليست لهم		أماً ولا الجد أبو القاسم
قل لابن مرجانة لابد ان		تعضّ كفّ الخاسر النادم
محمد خير بنى آدم		خصمك ياشرّ بنى آدم
يطلب منك الثأر فى موقف		ما فيه للظالم من عاصم
وفيه يُقتصُّ من المعتدي		بالنار لا بالسيف والصارم

★ ★ ★

ومنهم ابراهيم بن الحسن بن على الشيباني المعلم من اهل القرن السابع للهجرة ، ولد بباورد من بلد الزعفران من بطن الجزيرة العمرية سنة «٥٦٠» ، وانتقل الى الموصل وفتح فيها لنفسه مكتبا يعلّم فيه الصبيان ، وكان قليل النظم ، ومن شعره يذكر متعصبا على آل البيت ـ ع ـ يعرف بعبد السيد :ـ

ما بات يلحانى عُبيد السيد		الا معاندةً لآل محمد
ماقال انك رافضي ملحد		الا بلهجة ناصبيٍ ملحد
ياللعجائب والعجائبُ جمةٌ		مثلي يضلُ ومثلُهُ من يهتدي؟

★ ★ ★

ومنهم الشيخ أحمد بن أسفنديار بن الموفق بن أبى علي ، أبو المكارم البغدادى الصوفي الواعظ ، ولد ببغداد سنة سبع وثمانين وخمسمائة على عهد الخليفة الناصر لدين الله أعظم الخلفاء العباسيين طراً ، وسمع الحديث النبوي عن الشيوخ المشهورين فى عصره من الحنابلة وغيرهم ، وحفظ

القرآن الكريم وعُني بفن الوعظ وأخذه عن أبيه ، ودرس الادب وقال الشعر وجمع لنفسه ديوانا يشتمل على مجلدتين ولم يضع فيه هجوا البتة لعفة لسانه وطهر جنانه ، وبلغ ديوانه عشرة آلاف بيت ، وكان شيعي المذهب ، على ما ذكر كمال الدين بن الشعار الموصلى المؤرخ الاديب ، صحيح السّماع للاحاديث النبوية والاجازة به ، وقد رتّب شيخ الرباط الارجواني ببغداد الموقوف على الصوفيّة المنسوب الى السيدة أرجوان والدة المقتدي بأمر الله الخليفة العباسي ، قال ابن الشعار : وتوفي بعد منصرفي من بغداد في أوائل شهر ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة وقد شاهدته ببغداد ... وأنشدني ... لنفسه في مولانا أمير المؤمنين [المستنصر بالله] وذكر أنه أنشدها بالمدرسة التاجيّة [الشافعية] في يوم الغدير :

لاتسق بالقدح الصغير   من كان ذا حظ كبير

ان الاكابر للأكابر   والاصاغر للصغير

وادر كؤوسك لاعدمتك   من أخي نظر مدير

حمراء يشرق من زجاجتها   سنا القمر المنير

جلت محاسن وصفها   عن أن تشبه بالخمور

بكرٌ اذا نطقت حكت   ما كان في قدم الدهور

كانت ولم يخطر وجو   د الكون في نفس الضمير

يهدي الى قلب الحزيـ   ـن حديثُها روحَ السرور

قدسية الأوصاف مشرع   وردها العذبُ النميري

يجلو العمى وينير بالايمان   أوعية الصدور

فاذا انتشيت من المدام   ومستَ في حلل الحبور

وأرتك أنوار الهدى   تُجلى لدى نظر البصير

فاحلف بمن ظهرت خصا ئص فضله يوم الغدير

وعلا على كتف النبيّ الصادق البرّ الطهور

وأباد عمراً بالحسا م المقصّل العضب الطرير

وشفى بقتلة مرحب في خيبر قلب البشير

ان الندى المستنصريّ ندى يجل عن النظير

جود الخليفة لايقا يس بالحيا الهامي الغزير

أنى وكيف وفضله القدسيّ من كرم وخير؟

ومواهب المنصور للاسلام كالحامي النصير

مولىً يخاف سُطاه قلب الباسل الأسد الهصور

فاسلم أمير المؤمنين من الردى حتى النشور

في دولة آساسها تعلو على الفلك الأثيري

تبنى دعائمها برأي وليك المولى الوزير

الناصح البرّ الوفيّ الصادق العفّ الضمير

أراد بالوزير نصير الدين احمد بن الناقد وزير المستنصر بالله الخليفة العباسي ، وكان محباً لآل البيت عليهم السلام ، وقد توفي سنة ٦٤٢ ودفن في مشهد الامام موسى بن جعفر ـ ع ـ في تربة اتخذها لنفسه ، وكان شافعياً .

★ ★ ★

ومنهم فضلان بن أبي الفرج بن فضلان ، ابو الطيب الواسطي الضرير الذمي : كان يهوديا شاعرا فطنا يجيد نظم الشعر في القصائد والمقطعات وكان مع ضرره ذكياً لطيف الحسّ حسن الخاطر ، يلعب بالشطرنج على عماه ، فلا يكاد يغلبه أحد ، خرج من العراق الى الشام وانقطع خبره هناك ، ومن شعره يمدح علياً ـ عليه السلام ـ ويذكر اعطاءه لليهود الذمة التي تحفظ دماءهم وأموالهم وأعراضهم وأولادهم :

إن عاد لي من الشباب ما فرطْ ... عادَ بكم عيشيَ وهو مغتبطْ
للهِ أيـــام الصبا لآ لئـــاً ... لولا امتناع درّهـا أن يلتقط
وسـائرين ما علت قبابهـم ... يومالنوى الا ووجدي قد هبط
حتى إذا ميطت بُرى مطيّهم ... وحلّل الركب عن الرحل وحطْ
قمت قصير الخطـوات خائفاً ... أن يبصر الحبيب[شيباً]قد وخط

ومنها في مدح الامام علي – ع –:

وقائل تمدحـه ولست مـن ... ملتـه مـا ذاك مني بفـرط
هـذا حبانا يا عـذولي ذمةً ... من بعد فتك الروم فينا والنبط
وكيف لا تنظم ما عشنا لـه الـ ... عقود من درّ ثناه في السمط ؟

* * *

ومنهم يحيى بن حُميد بن ظافر أبو زكريا المعروف بابن أبي طيّ الأزدي الحلبي المؤرخ الأديب ، ولد بحلب في آخر سنة ٥٧٥ وكان أبوه نجاراً شيعياً وكذلك كان جدّه واشتغل هو بصنعة النجارة مع أبيه برهـة من الزمان ثم تركها وحفظ القرآن الكريم وتعلم الكتابة ومال الى طـلب العلـم والأدب ولقي العلماء وجالس الفضلاء فقرأ فقه الامامية عـلى أبي جعفر محمد بن علي بن شهراشـوب وقـرأ علم الخلاف عـلى ابي الثناء محمود بن طارق الحلبي الفقيه الحنفي ثم انتقل الى تعليم الصبيان وإقراء القرآن الى سنة ٥٩٧ ثم اختص بتعليم ابن لأحد الوزراء الى سنة ٦٠٠ ثم ترفّع عن التعليم وأنف منه ولزم داره وطلب مشايـخ الأدب فقرأ عليهم ودرس ثم أقبل على نظم الشعر ومدح الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين الأيوبي وارتفعت منزلته عنده وولاّه نقابة الفتيان في سنة ٦٠٩ فكان نقيب حضرته في الفتوة ثـم أحب التصنيف فصنف كتبـاً في التاريـخ وتفسير القرآن الكريم والآداب والفقه والاصول كثيرة ، منهـا « التاريخ الكبير »

المسمى « معادن الذهب في تاريخ حلب » جمع فيه أخبار الملوك والعلماء وأخبار الشام التي لاتوجد مجموعة في كتاب قديم ولا حديث في عصره، وابتدأ به من أول الفتوح الى سنة ٥٨٩ وواصل فيه الدول وأخبارها القديمة في الاسلام والحديثة وهو كتاب نافع مفيد ـ كما ذكر بعض المؤرخين ـ وألّف كتاب « التنبيه على محاسن التشبيه » أتى فيه بجميع الفنون التشبيهية وما قال العلماء في التشبيه وهو كتاب حسن، وشرح نهج البلاغة في ست مجلدات، وفضائل الأئمة، وسلك النظام في أخبار الشام، وكتاب «لمح البرهان في تفسير القرآن»، وكتاب «البيان في أسباب نزول القرآن»، و « كتاب غريب القرآن مختصر، وكتاب المجالس الأربعين في فضائل الأئمة الطاهرين، وكتاب خلاصة الخلاص في آداب الخواص، وكتاب حوادث الزمان، وكتاب تاريخ العلماء، وكتاب أسماء الشعراء، وكتاب شفاء الغليل في ذمّ الصاحب والخليل، وكتاب الحاوي ذكر فيه رجال الشيعة وعلماءهم وفقهاءهم وشعراءهم وأئمتهم المصنفين في مذاهبهم، وهو مرتب على حروف الهجاء، وعابه بعض معاصريه . والفاضل لايسلم من ألسنة معاصريه، وتوفي بحلب سنة ٦٢٧، ومن شعره قصيدة في أهل البيت ومنها:

أنا في اسار غدائرٍ ونواظرٍ	من كل أبيض ذي قوام ناضر
ريان من مرح الصبا فكأنما	رويت معاطفه بغيث باكر
خمري ريق لؤلؤي ضواحك	مسكي صدغ صارمي محاجر
لله ليلتنا بكاظمة وقد	سمحت به الأيام بعد تهاجرِ
والبدر سار في السماء كأنه	من وجهه بادٍ بنور باهر
والشعريان كأنما أحداقها	أحداق عاذل حبه المتكاثر
وسهيل الوقاد يخفق دائباً	خفقان أحشائي عليه وخاطري
والليل يرفل في فضول غلائلٍ	زرقت كشوقي أو كدمعي القاطر

والريح تنشر عرفهـا بنسيمها ... نشرى مديح أخي النبى الطاهر
خير الانام ومن يـذل مهـابة ... من بأسه قلب الهزبر الخـادر
صنو النبى وصهـره ووزيره ... وظهيره فى كل يـوم تشـاجر
ومبير عتبة والوليـد وشـيبة ... والعامري وذي الخمار الكـافر
ومزعزع الباب المشيد وقالع ال ... حجر الشديد عن القليب الداثر
ومغيض تيار الفرات وقد طما ... ورمى البلاد بكل موج زاخـر
سل عنه ان أنكرت سورة مريم ... والصف والشورى وسورة غافر

واسأل حديث الشمس عنه فان تجد
رشداً والا سَـل حديث الطائـر
وحديث يوم الدوح أعظـم موقعـاً
عنـد اللبيب وكـل طب خـابر
اذ قام فى يـوم الغـدير محمـد
وبكفـه كـف الامـام الطـاهر
« من كنت مولاه فذا مـولىً لـه »
في كل أمـر باطـن أو ظاهـر
يارب والِ مـن الأنـام وليـه
واخـذل لخاذله الأذلّ الصـاغر

★ ★ ★

ومنهم : سليمان بن ابى طالب بن عيسى بن حامد ، ابو الربيع البلدى المعروف بابن بطيلة الخياط . قال ابن الشعار : « رأيته شاباً أشقر طويلاً أبيض يخضب بالحناء وكان شاعراً ذا طبع صالح فى الشعر ويصنع الحكايات ، وينشيء الاسمار ويوشحها بالابيات الحسنة من قوله ، وربما ظهر فى كلامه تعسُّف ، وكان شيعياً مغالياً في الولاء ، يتكسب بشعره ، وله فى أهـل البيت صلوات الله عليهم مديح كثير . وبلغني انه توفي ببلده في جمـادى

الآخرة سنة سبع وعشرين وستمائة ، وأنشدني في الوزير شرف الدين أبي البركات المبارك بن المستوفي وقد قدم من غيبة يقتضيه رسماً له عليه :

أهلاً بمقدمك السعيد ومرحبا
يامن يرى طلب المعالي مطلبا

فارقتنا فتفرقت أرواحنا
شوقاً اليك وحنةً وتلهبا

فاذا خلت منك البلاد فلا خلتْ
أبداً ولا وجدت محلاً مخصبا

طلت الأنام فصاحة وسماحة
ورياسة ونفاسة وتهذُبا

وعلا محلهم محلك اذ غدا
فوق السماك مخيما ومطنّبا

مال الزمان اليك ميل مساعد
لما رآك تحب أصحاب العبا

ألهمت نفسك نيل شأوٍ مُتْعبٍ
فتركت للساعين شأواً متعبا

رام العلى قوم فخيَّب ظنَّهم
فيه وأشقاهم بذاك وأتعبا

الى آخر القصيدة .

* * *

ومنهم على بن محمد بن أبى منصور بن أبى الغنائم العلوى المعروف بصاحب الخاتم ، كان شاعراً مكثراً وله مدائح كثيرة في أهل البيت ـ ع ـ وغيرهم وكان شعره كثيرا مدوناً وقد سمعه منه جماعة وكتبوا عنه وكان ينتجع بالشعر رفد الناس ، وكان شاعراً مبرزاً ينظم شعراً معجزا ذا اقتدار مبين

وباع في معرفة اللغة مديد ، وفضل كثير وشعر كثير ، قال بعض المؤرخين : التزم في كلامه لزوما غريباً ، وسلك فيه اسلوباً عجيباً ، أعجز به المتقدمين وبذّ فيه المتأخرين ، وله قصائد مبدعات مخترعات مطبوعات لقبها بالبواهر جمع الباهرة ، صنع كل قصيدة على حرف من حروف المعجم ، وقد توفي بالحلة سنة ثمان وستمائة أو نحوها والله أعلم ، ومن شعره يمدح الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ ع ـ :

اذا أنت واليت الامام المبرّعا

علياً أمير المؤمنين السميدعا

سكنت فراديس الجنان مخلدا

وصرت محلاً سامياً مترفعا

امام هو النهج القويم الى الهدى

أخو سؤدد لم يحده «كذا» سعي من سعى

الى آخر القصيدة •

★ ★ ★

ومنهم : كمال الدين أو موفق الدين أبو عبدالله علي بن مقرب الربعي من ربيعة الفرس العيوني •

كان العيوني من قرية العيون بالبحرين وبها ولد سنة ٥٧٢ ولكنه طوّف في بلاد العرب ووزع شعره بينها ومدح الخلفاء والملوك والامراء والكبراء والعلماء بشعره العربي الناصع العروبة البدوي اللهجة المفعم كياسة وحماسة • قدم ابن المقرب بغداد وأقام بها سنة ٦١٠ وسنة ٦١٤ أو بعضها ، وسمع الادباء والرواة عليه شعره أو كثيرا منه ، وكانت ولادته بالاحساء من البحرين وتوفى بالبحرين في المحرم سنة ٦٣١ ، وكان لبداوته يعقد القاف كافاً فيقول «الكلب» بدلاً من القلب ، وكان شاعرا مسترفدا جزل

الألفاظ وكان شديد الهجو ، وديوانه مطبوع مرتين ، احداهما في بعض بلاد العرب والاخرى في بمباي وطبعة بمباي معها شرح وبيان وفيها فوائد جليلة ، وكان محبا لاهل البيت ـ ع ـ ومن شعره فيهم :

يا باكيا لدمنة في مربعِ ... ابكِ على آل النبي أو دعِ
يكفيك ما عانيت من مصابهم ... من أن تبكّي طللاً بلعلع
تحبهم قلت وتبكي غيرهم ... انك فيما قلته لمدعي
يا ليت شعري من أنوح منهم ... ومن له ينهلُ فيض أدمعي ؟
ألوصي حين في محرابه ... عُمّم بالسيف ولمّا يركع ؟
أم للبتول فاطم إذ دُفعت ... عن ارثها الحقّ بأمر مجمع ؟
أم للذي أروته في محرابه ... جعدتهم بكأس سم منقع ؟
وان حزني لقتيل كربلا ... ليس على طول المدى بمُقلع

الى آخر القصيدة .

* * *

ومنهم : ابو الدر عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي المحاسن الرومي الأصل مولى منصور الجيلي البغدادي التاجر ، كان اسمه ياقوتاً كأسماء المماليك فتسمى بعبد الرحمن ترفعا وتفوقا . نشأ عبدالرحمن ببغداد وحفظ القرآن الكريم ، وشدا طرفا حسنا من العربية وتفقه على مذهب الامام الشافعي ـ ض ـ بالمدرسة النظامية وقال الشعر الرقيق الرائق الالفاظ الرائع المعاني وأكثر منه في فن الغزل والتصابي وذكر الحب والغرام ، وراق شعره الناس وراق للنفوس الطربة وتحفّظه الناس وتناقله الرواة ، وغنى به المغنون ، وكان قارئاً للقرآن العزيز مشغوفا بمذهب الشيعة الامامية والتعصُّب لهم كثير المحبّة لاهل البيت عليهم السلام ، سيَّر فيهم قصائده فانتشرت في البلدان وأكثر من مدحهم وكان مع ذلك يحفظ النوادر والغرائب ويحاضر ويذاكر بالاشعار ومُلح الحكايات ، وكان عزباً لم

يتزوج قط . توفي يوم السبت رابع عشر جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وقد وُجد في بيته ببغداد ميتاً . ومن شعره يمدح أهل البيت ـ ع ـ :

دعا عذلي وكُفّا عن ملامي … فعذل عواذلي يغري غرامي

وكيف يُرام صرفي عن هداةٍ … بهم عُرف الحلالُ من الحرام

ليوث كريهة وغيوث محل … بدور هدى مصابيح الظلام

بهم في يقظتي شغفي ووجدي … وذكرهمُ سميري في منامي

اذا ما شئت أن تمسي وتضحي … عرياً عن ذنوبك والأثام

فزر بمدينة الزوراء موسى … الامامَ بن الامام بن الامام

وأُمَّ بأرض سامرا وطوسٍ … قبور أئمة غرٍّ كرام

وقف بالطف وابك بكربلاءٍ … على ظمآنها والماء طامي

وعُذْ من كل نائبةٍ وخطبٍ … بحب أبيهم البطل الهمام

وحيٍّ بيثرب أجداث قوم … هم خير البرية والأنام

فما خابت مساعي مستجيرٍ … تمسَّك منهم ذيل الذمام



في الفقه المقارن

اجتهاد الرسول "ص"

للاستاذ توفيق الفكيكي

(٢)

قول المعارضين :

ذهب أئمة الامامية ومن تابعهم ووافقهم من الظاهرية والمعتزلة وغيرهم الى ان الرسول الأعظم (ص) لا يجوز له الاجتهاد في الدين فيما يتعلق بالاوامر والنواهي أي التحريم والايجاب ، وانما يجوز ذلك له فيما عدا الامور الشرعية لقوله تعالى : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ولقوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى) ولقوله تعالى : (قل ما يكون لي أن ابدله من تلقاء نفسي إن أتبع الا ما يوحى الي) .

وأما ما سبيله ليس من باب تبليغ الرسالة ومستنده التجربة أو ما يفعله (ص) على سبيل العادة دون العبادة وبحسب الاتفاق دون القصد ومنه ما قصد به مصلحة جزئية يومئذ ، وليس من الامور اللازمة لجميع الأمة فجائز له الاجتهاد فيها مثل ما يأمر به من تعبية الجيوش وغير ذلك من امور الدنيا ومكائد الحروب فان لم يتقدم نهي عن شيء من ذلك ، وأباح الله تعالى له التصرف فيه كيف شاء على حسب ما يراه صلاحا ، فان شاء تعالى اقراره عليه أقره وان شاء احداث منع له من ذلك في المستأنف منع ،

الا ان كل ذلك لابد مما تقدم الوحي اليه باباحته .

وكذلك منازله (ص) في حروبه ، له أن ينزل من الارض حيث شاء ما لم ينْهَ عن مكان بعينه أو يؤمر بمكان بعينه وكذلك قوله (ص) : في تلقيح ثمار أهل المدينة لأنه مباح للمرء أن يلقح نخله ومباح أن يترك فلا يفعل شيئا من ذلك ، وهذا كله ليس من امور الدين الواجبة والمحرمة في شيء انما هي أشياء مباحة من أمور المعاش من شاء فعل ومن شاء ترك ، وانما الاجتهاد الممنوع منه ما كان في التحريم والايجاب فقط بغير نصٍّ ، وعليه لم يذهب هؤلاء الى القول في جواز اجتهاده (ص) بالاحكام وتعبده بالاجتهاد والقياس لأنهم قالوا : لو كان مجتهداً في الاحكام لجاز لنا مخالفته للاجماع على أن ذلك حكم الاجتهاد ، ومخالفته حرام بالاجماع ، ولأن الاجتهاد قد يخطيء والخطأ من النبي (ص) عندهم محال لعصمته ، ولأنه لو كان متعبداً بالاجتهاد لما أخر الاجوبة عن المسائل الواردة عليه حتى يأتيه الوحي لأنه تأخير للبيان عن وقت الحاجة وهو محال ، ولو كان متعبداً بالاجتهاد لزم ان يكون مرتكبا للحرام والثاني باطل ، فالمقدم مثله ، حيث ان الاجتهاد يفيد الظن والوحي يفيد القطع والقادر على الدليل القطعي يحرم عليه الرجوع الى الظن بالاجماع ، وكذلك لو كان متعبداً به لنقل اجتهاده لأنه من الاحكام الشرعية ومن الأدلة العامة ، وقالوا كذلك لو كان متعبداً بالاجتهاد والقياس لنقل اجتهاده في كثير من المسائل ، والتالي باطل فالمقدم مثله .

ردودهم على أدلة المجوزين :

(١) وقد أجابوا على دليل المجوزين في عموم النص (فاعتبروا يا اولي الالباب) ان لفظ الاعتبار لا يستفاد منه الحكم بالقياس وانما يستفاد به الاتعاظ والتدبر والتفكر وذلك هو المفهوم من ظاهره واطلاقه لأنه لا يقال لمن يستعمل القياس العقلي انه معتبر كما يقال فيمن يفكر في معاده

ويتدبر أمر منقلبه ويتعظ بذلك أنه معتبر وكثير الاعتبار ، وقد يتقدم بعض الناس في العلوم واثبات الاحكام من طريق القياس ولكن بتأمل فكره وتدبره يقال انه غير معتبر أو قليل الاعتبار ، وقد يستوي في المعرفة بحال الشيء واثبات الحكم ، اثنان فيوصف احدهما بالاعتبار دون الآخر على المعنى المتقدم ، ولهذا يقولون عند الامر العظيم ان في هذا لعبرة ، وقال الله تعالى : (وان لكم في الانعام لعبرة) ، على انا لو سلمنا جواز استعمال الاعتبارفي المقايسة لم يكن في الآية دلالة الا على ما ذكر منها من أمر الكفار وظنهم ان حصونهم مانعتهم من الله تعالى ووقوع ما وقع مكانه قال الله تعالى فاعتبروا بذلك يا اولي الابصار وليس يليق هذا الموضع بالقياس في الاحكام الشرعية . لأنه تعالى لو صرح ببعض ما ذكر من حال الكفار بأن يقول : فقيسوا في الاحكام الشرعية واجتهدوا لكان الكلام لغواً لا فائدة فيه فلا يليق بعضه ببعض فثبت انه أراد الاتعاظ والتفكر .

وقال ابن حزم : لو لم يكن في ابطال القياس الا هذه الآية لكفى، وما للقياس مجال على هذه الآية اصلا بوجه من الوجوه ، ولا علم أحد قط في اللغة التي نزل بها القرآن ان الاعتبار هو القياس وانما أمرنا الله تعالى أن نفكر في عظيم قدرته في خلق السماوات والارض وما حل بالعصاة كما قال تعالى في قصة اخوة يوسف (ع) : (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب) .

(٢) وأجابوا على أدلة المجوزين التي استدلوا بها على وقوع الخطأ باجتهاده (ص) ومنها نص الآية (عفا الله عنك لم أذنت لهم) فقالوا : قوله تعالى عفا الله عنك فليس يقتضي وقوع معصية ولا غفران عقاب ، ولا يمتنع ان يكون المقصود به التعظيم والملاطفة في المخاطبة لان احدنا قد يقول لغيره اذا خاطبه أرأيت رحمك الله وغفر الله لك وهو لايقصد الى الاستصفاح له عن عقاب ذنوبه بل ربما لم يخطر بباله أن له ذنبا وانما الغرض الاجمال في

المخاطبة باستعمال ما قد صار في العادة علما على تعظيم المخاطب وتوقيره ، واما قوله تعالى : (لم أذنت لهم) فظاهره الاستفهام والمراد به التقرير واستخراج علة اذنه ، وليس بواجب حمل ذلك على العتاب ، لان احدنا قد يقول لغيره لم فعلت كذا وكذا تارة مستفهما وتارة مقررا ، فليست هذه اللفظة خاصة بالعتاب والانكار واكثر ما يقتضيه وغاية ما يمكن أن يدعى فيها ان تكون دالة على انه (ص) ترك الاولى والافضل ، وترك الاولى ليس بذنب وان كان الثواب ينقص معه ، فان الانبياء عليهم السلام يجوز ان يتركوا كثيرا من النوافل وقد يقول احدنا لغيره اذا ترك الندب لم تركت الافضل ولم عدلت عن الاولى ولا يقتضي ذلك انكارا ولا قبيحا ، وعليه فان الآية لاتدل على جواز الخطأ باجتهاده (ص) باذنه للمنافقين في التخلف عن الخروج معه الى الجهاد .

(٣) واجابوا على دليل الجمهور في قوله تعالى : (ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض) في استبقاء اسارى بدر واخذ الفداء عوضا عن قتلهم . بأنه ليس في ظاهر الآية ما يدل على انه (ص) عوتب في شأن الاسارى بل لو قيل ان الظاهر يقتضي توجه الآية الى غيره لكان أولى لان قوله تعالى : (تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) وقوله : (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) لاشك انه لغيره فيجب ان يكون المعاتب سواه والقصة معروفة والرواية بها متظافرة . لان الله تعالى امر نبيه (ص) بأن يأمر أصحابه بأن يثخنوا في قتل اعدائهم بقوله تعالى : (فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) وبلغ (ص) ذلك الى اصحابه فخالفوه واسروا يوم بدر جماعة من المشركين طمعا في الفداء فأنكر الله تعالى ذلك عليهم وبين ان الذي أمر به سواه . فان قيل : فاذا كان النبي (ص) خارجا عن العتاب فما معنى قوله تعالى : (ما كان لنبي ان يكون له أسرى) ؟ ، قلنا : الوجه في ذلك لان الاصحاب

انما أسروهم ليكونوا فى يده (ص) فهم أسراؤه على الحقيقة ومضافون اليه وان كان لم يأمرهم بأسرهم بل أمر بخلافه • اما انه (ص) لم يقتلهم فظاهر انه غير ممتنع ان يكون المصلحة فى قتلهم وهم محاربون وان يكون القتل اولى من الاسر فاذا أسروا تغيرت المصلحة وكان أستبقاؤهم أولى ، وانه (ص) لم يعمل برأى ابى بكر الا بعد أن وافق ذلك ما نزل الوحى به عليه ، والقرآن لايدل بظاهر ولافحوى على وقوع الخطأ فى اجتهاده فى هذا الباب • فالرواية الشاذة لا يعول عليها ولا يلتفت اليها • وممن رأى هذا الرأى الامام الغزالى والبدخشى والقاضى ابو زيد وهم من جماعة المجوزين وهناك شذرات قيمة من الردود حول هذه المسألة طوينا ايرادها لغاية الايجاز •

(٤) واجاب المعارضون على الدليل بتخطئته فى اجتهاده (ص) باعراضه عن الاعمى ابن مكتوم فى قوله تعالى : (عبس وتولى أن جاءه الاعمى) فقالوا : أما ظاهر الآية فغير دال على توجيهها اليه (ص) ولا فيها ما يدل على انه خطاب له بل هى خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه ، وفيها ما يدل عند التأمل على ان المعني بها غير النبى (ص) لانه وصفه بالعبوس وليس هذا من صفاته ثم وصفه بأنه يتصدى للاغنياء ويتلهى عن الفقراء وهذا مما لا يوصف به الرسول الاعظم ولا يتفق مع ما مدح به : (وانك لعلى خلق عظيم) بنص القرآن ومع ما عرف به من تحننه على قومه وتعطفه • وكيف يقول له : (وما عليك الا يزكى) وهو (ص) مبعوث للدعاء والتنبيه ، وكيف لا يكون ذلك عليه وكان هذا القول اغراءاً بترك الحرص على ايمان قومه • وقد قيل : ان هذه السورة نزلت فى رجل من اصحابه (ص) وكان منه هذا الفعل المنعوت فيها ، واى تنفير أبلغ من العبوس فى وجوه المؤمنين والتلهى عنهم والاقبال على الاغنياء الكافرين والتصدى لهم وقد نزهه الله عما دون هذا فى التنفير بكثير •

اما بقية الردود العلمية والعقلية الحكيمة على أدلة المجوزين الاخرى وهى خاتمة هذا البحث وروحه فنرجئها الى العدد القادم •

ليلة ميلاد الرسول ص

للشاعر علي جليل الوردي

أطلّت على الايام فالكون مشرقُ ... ونور الهدى في أفقه متألقُ
فيا ليلة فيها الهدى لاح نوره ... فأحيا الاماني فيضه المتدفق
تجاوزت مقياس الجمال فلم تطق ... عروس القوافي في معانيك تنطق
وأي جمال عبقري حويته ... له الملأ العلوي يرنو فيعشق
تود السما لو طاف فيها خياله ... وترشف فيض الحسن منه وتنشق
جمال على الازمان قد فاح نشره ... ولاح على الاجيال منه التألق
جمال مدى الاحقاب يزداد جدة ... فلا الدهر يبليه ولاهو يخلق
جمال بأسرار النبوة حافل ... ففي خاطر العليا اليه تشوق

★ ★ ★

فياليلة تزهى بأكرم مولد ... لطلعته تهفو القلوب وتخفق
يتيمة دهر أنت يا ليلة المنى ... بنور يتيم ••• بالمروءات معرق
وهل كان في دنيا العلى كمحمد ... وليد به غر الملائك تحدق ؟

★ ★ ★

بمولده طافت على الكون نفحة ... ترف بروح المكرمات وتعبق
وهب النسيم العذب يحمل نشره ... زكيا لرياه القلوب تصفق
وفاض على الدنيا بهاء جماله ... فاحيا مغانيها رواء ورونق
ففي كل نجد من رؤاه خميلة ... وفي كل وهد جدول يترقرق
وفي كل غصن طائر مترنم ... طروب الاغاني ، او حمام مطوق
وفي كل فج من سناه منارة ... بلألائها ثوب الدجى يتمزق
فما البيد الا لجة من أشعة ... و«مكة» في لج الاشعة زورق

★ ★ ★

تسنمت يا « أم القرى » ذروة العلى ... فمجدك محبوب ، وعزك يومق

لئن فاخر الشرق البلاد بنوره ... فنورك بالفيض الالهي مشبرق

سما بك فرد ليس فى الدهر مثله ... عظيم له المجد الاثيل مطوق

اذا مثل الاقيال من ال يعرب ... لديه ، فكل خاشع الطرف مطرق

★ ★ ★

أتى المصطفى الهادى ، وابناء يعرب ... عليهم ظلام الجاهلية مطبق

يعانون ذلا لايطاق ، وفاقة ... فبعضهم عان ، وآخر مملق

فأرسل فيهم أحمد من رشاده ... رشاداً ، به الفوز المبين معلق

واضفى عليهم من هداه هداية ... ترف فتجتاح الضلال وتمحق

وأولاهم فيض المراحم والندى ... ففى كل ربع روعة وتأنق

محا بينهم جرثومة البغض والقلى ... فبعض لبعض خافق القلب شيق

وكون منهم أمة أي أمة ... لهيبتها الصيد الجبابر تصعق

مشوا في سبيل المجد ، شداً ، ففيلق ... يسير الى العلياء ، يتلوه فيلق

اذلوا صعاب الدهر فى عزماتهم ... بكل حسام بالمنية ينطق

فصولاتهم فيها المنون صواخب ... وأسيافهم موت اذا هي تمشق

لقد سبقوا الاجيال عزاً ورفعة ... فهم فى ميادين المفاخر سبق

وقد أدركوا فى ظل راية أحمد ... مراما بعيدا فى العلا ليس يلحق

ودكت صروح المشركين سيوفهم ... وداهمهم منها المنون فأشفقوا

ومن يرخص النفس العزيزة للعلى ... ينل قصده بالعز وهو الموفق

ومن يتبع نهج المساواة والاخا ... فذلك أولى بالحياة وأخلق

★ ★ ★

فيا خالقا من أمة الضاد أمة ... عليها لواء العبقرية يخفق

شمرت بأبناء الجزيرة للعلى ... ففى كل أفق كوكب يتألق

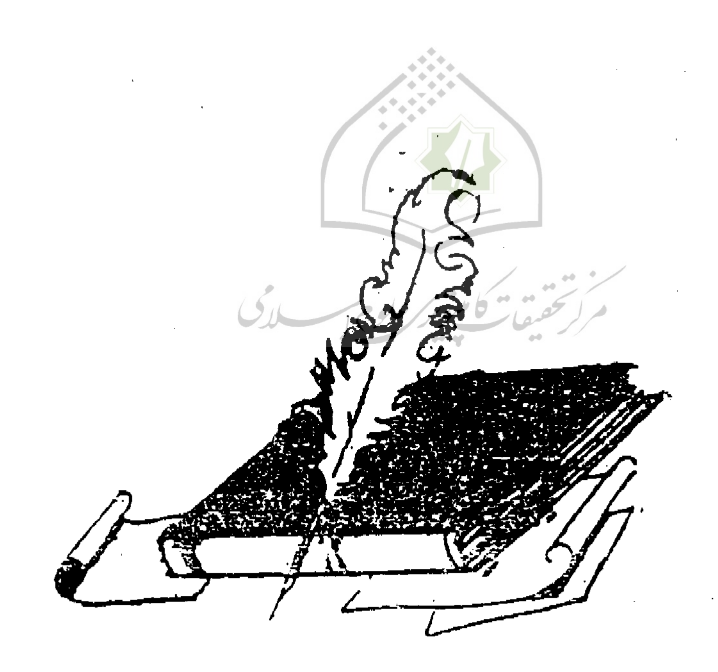
سننت لهم شرعا به يدرك المنى ... وينمو به غصن الرجاء ويورق

وعلمتهم درس الحياة وسرها ... ووفقتهم في نهجها فتوفقوا

وأنطقتهم آي الكتاب ، وانه ... حنان وعدل ، بل هدى وترفق

سلاما عظيم الدهر ما لاح شارق ... وماهب روح بالهداية يعبق

يخلد ذكراك الزمان ، وانها ... لاحرى بما فوق الخلود ، وأليق



النزعات الصوفية

عند احمد بن فهد الحلي

للدكتور كامل الشيبي

ولد جمال الدين أبو العباس احمد بن فهد الحلي[1] في الحلة سنة ٧٥٦/١٣٥٥[2] وتلقى عن علي بن الخازن الحائري تلميذ الشهيد الاول[3] وعن تلاميذ محمد بن الحسن بن المطهر[4] • وقد عاش ابن فهد في فترة اضطرب فيها حبل السياسة والثقافة الى حد بعيد ، فقد كانت الحلة تحت حكم التيموريين وكان يحكمها أحفاده الى ان مات تيمور سنة ٨٠٧/١٤٠٥[5] • وبعد ذلك عاد قرا يوسف طريد تيمور الى العراق واذربيجان ليحكمها من جديد الى سنة ٨٢٣/١٤٢٠ لما مات قبل لقاء شاهرخ في المعركة • وخلف قرا يوسف ابنه محمد شاه في بغداد وابنه الاخر اسبند في تبريز[6] • وجرت في الحلة اضطرابات انتهت باستيلاء اسبند عليها وعلى بغداد سنة ٨٣٦/١٤٣٢ ومات سنة ٨٤٩/١٤٤٥[7] • لقد كان قرا يوسف وابناؤه متساهلين في العقيدة الى حد أنه قيل : « ان قرا يوسف لا يتمسك بدين وانه كان في عصمته أربعون امرأة[8] وانه واولاده كانوا مكروهين لخراب البلاد على أيديهم[9] •

ومهما يكن الامر فقد ذكر في ابن فهد الحلي أنه قام بالدور الذي أثر عن ابن المطهر من أنه «ناظر أهل السنة في زمان الميرزا اسبند التركماني في الامامة •• فغير الميرزا مذهبه وخطب باسم أمير المؤمنين وأولاده.

الائمة » (١٠) والمهم فى ابن فهد أنه كان فقيها واستاذا للفقهاء معترفا به وذكرت له كتب كثيرة في الفقه(١١) «منها كتاب ألفه فى كربلاء بناءً على اشارة من السيد المرتضى فى المنام بحضور على بن أبى طالب ومخاطبته له بقوله : أهلا بناصر أهل البيت » (١٢) .

وتأتى أهمية ابن فهد الحلى فى عالم التصوف المتشيع من انه كان « صوفيا مرتاضا وصاحب حال وذوق » بوصف نور الله التسترى(١٣) وتأييد الشيخ يوسف البحرانى(١٤) والخوانسارى(١٥) ، وذكرت له كتب لها هذا الطابع ككتاب « التحصين وصفات العارفين » « وعدة الداعى ونجاح الساعى » وكتاب أسرار الصلاة (١٦) . ونسب اليه الغيائى كتابا عجيبا ـ يتضمن فوائد عجيبة وغرائب خفية « أذا القى فى الشط يضطرب ويخرج منه دخان عظيم » (١٧) ـ استطاع محمد بن فلاح المشعشع ربيب ابن فهد وابن زوجه أن يستغله فى ادعائه المهدية(١٨) .

اما كتاب التحصين وصفات العافين فتحتفظ له مكتبة المتحف البريطانى بنسخة ضمن المخطوط (Add. 16,839) (ورقة ٢٥٤ب ـ ٢٥٧ب) (١٩) وهى رسالة صغيرة كما يبدو من عدد صفحاتها غير أن لها اهمية خاصة فى هذه الدراسة .

ويبدأ احمد بن فهد الحلى كتاب التحصين بداية صوفيه مسجوعة بقولـه :

«الحمد لله الذى تجلى لعباده فشغلهم عن الشهوات ، واظهر لهم وميض نوره فبداهم عن الغفلات ، واعتقهم من شراب حبه فسكروا فى غية وتاهوا فى الخلوات ، ووثقوا به فاغناهم وتوكلوا عليه فكفاهم وصرف عنهم المحذورات ، وغسل ظاهرهم من دناسات الدنيا وجلا بواطنهم باسرار المكاشفات(٢٠) » ووصف ابن فهد الحلى كتابه بان « مضمونه العزلة

بالاسانيد المتلقاة من ال الرسول عليهم الصلاة والسلام[٢١] » غير ان كتابه لم يخل من عناصر صوفية واضحة . وقد ادار ابن فهد كتاب التحصين على ثلاثة اقطاب : القطب الاول في تصورها باعتبارها « الانقطاع الى الله تعالى في كهف جبل او ظل مسجد او زاوية بيت ، وقد يقال : العزلة من الناس والوحشة من الخلق والاستيناس بالحق وهو أعم من الاول[٢٢]» . واضاف الى هذا انه « لا يتهيأ ذلك الا لمن قترت نفسه على هجر فضول الدنيا ومشتهياتها وكانت نفسه وهواه من وراء عقله لما هو معلوم من أوصاف العارفين[٢٣] » . والقطب الثاني في الاداب فيها على صورة نصوص منقولة عن الائمة يشيع فيها الروح الصوفي منها قول الصادق : « لو لا الموضع الذي وضعني الله فيه لسرني ان اكون على رأس جبل لا اعرف الناس ولا يعرفونني حتى يأتيني الموت[٢٤] » وقول الباقر : « ما يضر من عرفه الله الحق ان يكون على قلة جبل يأكل من نبات الارض حتى يجيئه الموت[٢٥] » . والقطب الثالث يتناول فوائدها على صورة اشارات متصلة بلغت الست عشرة عدا .

وقد حفلت هذه الرسالة باخبار الانبياء الداعين الى تفضيل العزلة والخمول منها أخبار تنتهي الى داود وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ومحاورات بين النبي (ص) واسامة وعمر وابي ذر ثم احاديث الائمة . ولم يغفل ابن فهد الحلي احاديث الزهاد من امثال اويس القرني وسفيان الثوري . على ان اهم ما في هذه الرسالة الاشارات المتعددة الى كلمات المتصوفة الرسميين كالنص الذي تدور فيه محاورة بين ذي النون المصري وصوفي مبتدىء يسأله من يصح له العزلة عن الخلق ؟» « قال : اذا قويت على عزلة نفسك . قال : فمتى يصح لي طلب الزهد ؟ قال : اذا كنت زاهدا في نفسك هاربا من جميع ما يشغلك عن الله[٢٦] » . وفي الرسالة نص اخر يتوجه فيه معروف الكرخي الى الامام الصادق على فرض اجتماعهما ، بطلب النصيحة

فيقول له الامام : « اقلل معارفك » فيسأله معروف المزيد منها فيقول له : انكر من عرفت منهم ، فيسأله معروف المزيد فيأتيه الجواب من الامام قائلا : حسبك(٢٧) . فكأننا بازاء محاورة منسوجة على منوال المحاورة المشهورة بين على بن أبى طالب وكميل بن زياد(٢٨) .

ولا ينسى ابن فهد الحلى ان يضمن كتابه نصوصا من كتاب زهد النبى لابن بابويه القمى تتصل بالملاحم وخروج المسلمين عن الجادة فكأنه كان يصف مجتمعه الحلى ويدعو الى العزلة فى وقت عز فيه على المسلم ان يأمن على نفسه وماله ودينه ، ومن هنا نقل ابن فهد من هذا الكتاب حديثا نبويا ينص على انه « اوحى الله الى عيسى ، لآمرن مناديا ينادى : ايها الزهاد هلموا الى عرش الزاهد عيسى بن مريم » (٢٩) .

ويحسن بنا فى ختام استعراضنا لكتاب التحصين ان نشير الى ان من اوضح الآثار الصوفية فيه ما عكسه تصويره للعزلة تصويرا ينطق بصدوره عن روح صوفية خالصة تنمع منها اصطلاحات ومذاهب من صلب التصوف .

قال ابن فهد الحلي : « ولما كانت العزلة هي الفرار حينئذ من الخلق والاقبال على الحق فاذا لم يفرغ القلب من شهوات الدنيا ولم يقطع علائق التعلقات بها لم يقبل على الحق لشدة ما فيه من الكدورات وحجب عن الوصول بل سلب لذة المناجاة والعبادات .. فالتجلي بالفضائل مسبوق بالتخلي عن الرذائل .. فما لم يخل البدن من العفونات لا ينفعه اصلاح الغذاء وما لم ينق الثوب من الوسخ والدسم لايشرق عليه نور الصبغ .
وكذلك القلب ما لم ينق من الحرص وسورة الغضب وتقاضى الشهوة لم يكن محلا لاشراق الانوار الالهية ، بل لم يصلح لخدمة الربوبية (٣٠) . ان هذه الفقرة لو وضع عليها اسم ابن عربي نفسه لم يكن ذلك غريبا ولا موجبا للدهشة .

واما عدة الداعي فقد الفه ابن فهد في مقدمة وستة ابواب • وتتضمن المقدمة تعريف الدعاء والترغيب فيه ، ويدور الباب الاول حول الحث على الدعاء والثاني حول اسباب الاجابة • ويعرض الباب الثالث للداعي : من يستجاب دعاؤه ومن لا يستجاب ، والباب الرابع لكيفية الدعاء وآدابه • وخصص ابن فهد الباب الخامس للذكر بوصفه ملحقا بالدعاء ، وقد استغرق فصل الاستشفاء بالدعاء وما يستدفع به المكاره ، وانتهى بالبحث في العوذ ، وهي الادعية القصيرة ، وقدم نماذج منها • وكتب ابن فهد الباب السادس في تلاوة القرآن باعتبارها من اقسام الذكر • وأضاف بابا سابعا وصفه بالعبارة « ختم وارشاد » والحقه بالذكر وجعله يدور حول « ذكر الله عند اوامره ونواهيه فيفعل الاوامر ويترك النواهي خوفا منه ومراقبة له[٣١] • وعاد ابن فهد في ختام الكتاب الى اسماء الله الحسنى وعددها واحدا واحدا وبين اسرارها وفضائلها وفوائدها في هذا المجال من المعرفة الدينية[٣٢] •

لقد اشار ابن فهد الحلي الى ملاك الدعاء وفائدة كتب الادعية والغاية منها بنقله عن الامام محمد الجواد قوله : «الدعاء الملحون لايصعد الى الله عزوجل ويقرب منه»[٣٣] وقول الصادق « نحن قوم فصحاء اذا رويتم عنا فأعربوها • »[٣٤] • ومن هنا يبدو الدعاء البليغ نوعا من الادب في مخاطبة الله وينبغي لذلك ان يسلم من اللحن والعامية • يضاف الى هذا عنصر اخر في الدعاء تعبر عنه عبارة لعلي بن ابى طالب ينقلها ابن فهد وهي : « ان عند الله منزلة لاتنال الا بمسألة ، ولو ان عبدا سدّ فاه ولم يسأل لم يعط : فاسأل تعط[٣٥] • وهكذا تقدم ابن فهد ليصوغ للسائلين الداعين لله قوالب بليغة تسهل لهم ارتفاع حاجاتهم الى السماء • وقد جعل ابن فهد الدعاء من ضرورات الحياة الروحية واعتبر الداعي في اخلاصه وتوفيقه في اختيار الدعاء المناسب والالحاح فيه[٣٦] بمنزلة « الغازي والحاج والمعتمر

والمريض» (٣٧) • وقد اتاح ابن فهد للداعين تحقيق سؤلهم فى شتى الميادين. فأورد من الادعية ما يدفع به العلل (٣٨) وما يدفع به المكاره (٣٩) وما يحقق المطالب الآنية كطلب الولد ، ونيله ذكرا ، (٤٠) وقضاء الدين (٤١) وسرعة الحفظ (٤٢) وما الى ذلك • واذا كان للنصوص المنقولة عن الائمة هذا الفعل فأحْرِ بالقرآن ان يكون فيه « الترياق الاكبر والكبريت الاحمر والخواص الغريبة والمعجزات العجيبة •» (٤٣) وان يكون فى آياته فوق الاستشفاء من العلل ، بوصفه « شفاء لما فى الصدور » (٤٤) وما يحفظ من السراق(٤٥) والشياطين(٤٦) ويحل المربوط(٤٧) وغير ذلك •

وكان الدعاء عند ابن فهد ينطوى على قوة خاصة يصلح معها ان يكون اداة للبداء او نسخ ما قدره الله على عبد من عباده ، ومن هنا روى عن الامام الكاظم قوله : «ان الدعاء يرد ما قدر وما لم يقدر»(٤٨) على مقولة «ان الدعاء والطلب الى الله يرد البلاء وقد قدر وقضى فلم يبق الا امضاؤه فاذا دعى الله وسئل صرفه صرفه »(٤٩) •

وترافق الدعاء عند ابن فهد هيئات وحركات معينة واشارات تحدد كل نوع من انواعه : فالابتهال يقترن برفع اليدين (٥٠) والتعوذ يتم باستقبال القبلة بباطن الكفين (٥١) والتبتل بالايماء بالاصبع السبابة (٥٢) والتضرع بتحريك السبابة ممايلى الوجه وهكذا (٥٣) • وينبغى ان يتوجه الدعاء الى الله من المسجد وبخاصة المساجد التى تقوم فيها مراقد الائمة ، ويتميز منها قبر الحسين باربع خصال عوضه الله تعالى بها من قتله هى انه : «جعل الشفاء فى تربته واجابة الدعاء تحت قبته والائمة من ذريته وان لايعد ايام زائريه من أعمارهم » (٥٤) كل هذه لمع وبروق فى الاشارة الى مضمون عدة الداعى ترسم له خطوطه العريضة بوصفه كتاب دعاء شيعيا يعتمد كلية على النصوص

الواردة عن الائمة مع ما رأينا من اعتماد ايات القرآن ، ولاشك ان هدف ابن فهد من جعله كتابا متداولا بين الشيعة يجعل من عنصر النصوص الواردة عن الائمة فيه ضرورة لامناص منها .

ورصدا للمادة الصوفية في عدة الداعي ينبغي ان نشير الى ان كتابا مثله يدخل بيوت سواد الشيعة ويقع تحت انظارهم لم يكن يسوغ فيه ان ترد فيه اخبار الزهاد والمتصوفة وافكارهم ، وان ظهر شيء من ذلك كان للباحث ان يعتبره من قوة التأثير الصوفي في ابن فهد الحلي ، والحق ان هذا المصنف وجد نفسه منساقا الى ذكر اويس القرني الزاهد الكوفي المعروف والى تنازل معاوية بن يزيد عن الخلافة زهدا فيها (٥٥) ، فلم يتمالك نفسه من القول : «وانا خرجنا في هذا الباب عن مناسبة الكتاب » ، (٥٦) وعلل حصوله «لوقوع ذلك باقتراح بعض الاصحاب حيث رأى اول الكلام فأحب الاستكثار منه فكرهنا خلافه » (٥٧) . وفوق هذا وجد ابن فهد الحلى مناسبة أخرى فأرسل اسم ابراهيم بن ادهم بين الاسماء الخاصة بالتشيع ليكون شاهدا على كرامة ظهرت من الامام جعفر الصادق نتيجة اخلاص الامام بالاصطلاح الفني عند الصوفية (٥٨) .

وبصرف النظر عن صعوبة تصيد الاسماء من عالم التصوف في كتاب يتداوله الشيعة عموما ، مزج ابن فهد بمادة كتابه عنصرا ليس من طبيعته ولاشكله ولم تكن به اليه حاجة لولا استغراقه في المثل الصوفية ، ومن ذلك عقده فصلا مفصلا للزهد ومبرراته واتفاقه مع روح القرآن . وقد بدأ ابن فهد هذا الفصل بداية متطرفة بقوله : «ولا تأخذ بقول من يقول : انا اتنعم في الدنيا بما ابحه الله تعالى واقوم بالواجبات واخراج الحقوق ومن حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق (٥٩) بل ينبغي ان تعلم ان هذه مقالة أهل حمق وغرور .. » (٦٠) وحشد ابن فهد للتدليل على صواب ما يذهب اليه اقوالا واخبارا تنقل عن عيسى (ع) وابي ذر وسلمان الفارسي

وابراهيم (ع) وزكريا (ع) ثم علي بن ابى طالب الذى وصفه ابن فهد بعبارة «سيد الوصيين وتاج العارفين ووصى رسول رب العالمين»(٦١) ونص في اثناء ذلك على ان «الفقر حلية الاولياء وشعار الصالحين» (٦٢) وان الصوف كان لباس ابراهيم ابى الانبياء (٦٣) وان الليف كان لباس يحيى (ع) (٦٤) والشعر لباس سليمان (٦٥) • ولم يغفل ابن فهد النصوص القرآنية وانما لاحظ ان «•• احياء دين الله واعزاز كلمته ونصرة الرسل وانتشار دعوتهم من بدء آدم الى زمان نبينا محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ لم يقم الا باولى الفقر والمسكنة» (٦٦) وان المتصدى لانكار الشرائع والمقدم على جحود الصانع انما هم الاغنياء المترفون والاشراف المتكبرون» (٦٧) • وعزز ابن فهد هذا الرأي، الذى يطابق الفكر الصوفي، بقصص من القرآن وآيات تؤيده منها قول الاغنياء لنوح : «انؤمن لك واتبعك الارذلون» (٦٨) و «ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا» (٦٩) وقولهم لشعيب : «ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز» (٧٠) واورد ابن فهد في بيان موقف الارستقراطيين من صالح الاية «قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا، لمن آمن منهم : اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه ؟ قالوا : انا بما ارسل به مؤمنون• قال الذين استكبروا : انا بالذي آمنتم به كافرون» (٧١) وكذلك الامر بالنسبة ليعقوب وموسى ومحمد (ص) الذى قيل فيه : «لولا القي عليه كنز او جاء معه ملك ••» (٧٢) وقالوا : «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» (٧٣) وهكذا •

وحرصا على الا يفلت منا هذا الخيط ينبغى ان نعزز هذه البادرة من ابن فهد الحلي بمزيد من الدلائل على وقوعه تحت تأثير التصوف • من ذلك انه ذكر حديثا للامام الكاظم يفيض بالاصطلاحات الصوفية ويتضمن منه الصبر والقناعة والرضى والاخلاص واليقين والتوكل (٧٤)، ورافق هذا الحديث شرح لكل مصطلح منها، من ذلك تفسيره التوكل بانه «العلم

بان المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يعطى ولايمنع واستعمال اليأس من المخلوق» (٧٥) ، ثم يمضى الحديث فى تفسير باقى المعانى الانفة الذكر • يضاف الى هذا ان ابن فهد عرض للرياء والعجب عرضا ، لئن تجنب به تطابق الجمل والحروف والاخبار مع مثيلاتها من كتب التصوف ، لقد جاء ـ بما فيه من تفصيل شديد ـ مصرحا بهذا الاثر بما لايدع مجالا للشك فى هذه النزعة عنده •

لقد عرض ابن فهد للرياء بوصفه « التقرب الى المخلوقين باظهار الطاعة وطلب المنزلة فى قلوبهم والميل الى اعطائهم واعظامهم له وتوقيرهم اياه واستجلاب تسخيرهم لقضاء حوائجه والقيام بمهامه »(٧٦) ووصفه فى النهاية بانه الشرك الخفى (٧٧) • ولم يكتف ابن فهد بهذا القدر وانما عرض لخطرات الرياء على نحو فيه تفصيل ودقة ملاحظة (٧٨) تذكرنا بالمحاسبي فى كتابه الرعاية لحقوق الله (٧٩) ، واردف ذلك بانواع الرياء (٨٠) ، وختمه بعلاجه الذى يتمثل فى الاخلاص بوصفه « استواء السر والعلانية» (٨١) ، وعرض ابن فهد ، بعد الرياء للعجب (٨٢) على عادة الصوفية ووصفه بانه من المهلكات » (٨٣) ، فعل الغزالى (٨٤) وانتهى فى الختام الى علاجه (٨٥) • ولايتم القول على هذا الجانب من ثقافة ابن فهد الحلى دون تسجيل لافراده الذكر بالبحث فى الباب الخامس من كتابه عدة الداعى • ولو مرت الاشارة الى هذا النوع من التوجه الى الله على صورة لاتلفت النظر لم يكن لنا ان نلحقها بالاثر الصوفى فى ابن فهد ، ولكنه الح فيه كثيرا وبين ابن فهد ان الشكر قسم من اقسام الذكر (٨٦) وتطرق الى اقسام الذكر فذكر منه التحميد (٨٧) والتمجيد (٨٨) والتهليل (٨٩) والتكبير (٩٠) والتسبيح (٩١) والاستغفار (٩٢) ثم تلاوة القرآن بوصفها من أقسامه ايضا (٩٣) • وعين ابن فهد بعد ذلك لكل نوع من الذكر اوقاتا تناسبه (٩٤) وختم عرضه له بقوله : « ويستحب الاسرار بالذكر لانه اقرب

الى الاخلاص وابعد من الرياء»[٩٥] وقرن به محاورة بين النبي (ص) وابى ذر يخاطب فيها النبي هذا الصحابي بقوله :«يا ابا ذر اذكر الله ذكراً خاملا» قلت : ما الخامل ؟ قال : الخفى[٩٦] وتلك اشارة مضت فى اثناء هـذا الفصل •

ولم يفت ابن فهد ان يكمل سمت الصوفية ، لمناسبة اشتغاله بالعلوم الغربية ، ان يكتب رسالة « فى استخراج الحوادث المستقبلة من كلام أمير المؤمنين [٩٧] ـ كمل فعل البرسي ، ومن قبلهما ابن ميثم البحراني ـ فروى انه ترك لمحمد بن فلاح تلميذه المذكور رسالة ذكر له فيهـا انه «سيظهر السلطان شاه اسماعيل الصفوى حيث أخبر امير المؤمنين فى يوم حـرب صفين بعدما قتل عمار بن ياسر ، ببعض الملاحم من خروج جنكيزخان وظهور شاه اسماعيل [٩٨] • ولعله يشير بذلك الى ما رواه ابن ميثم فى شرح نهج البلاغة من اوصاف التتار ثم ختام ذلك بظهور المهدى الذى يبدو انه قصد باسماعيل الصفوى هنا ان يكون بابه والمبشر بظهوره •

واستكمالا لجوانب ابن فهد الحلى الروحية ينبغى ان نذكر له ابياتـا في الزهد تمثل نزعته الصوفية وتقوى هذا الاتجاه عنده وتزيده وضوحا فى هذه الدراسة التى تحاول ان توجه الاضواء الى جوانب من التشيع خافية على الباحثين :

قال ابن فهد الحلي :

يامن يرى ما في الضمير ويسمع	انت المعد لكل مـا يتوقـع
يا من يرجى للشدائد كلهـا	يا من اليه المشتكى والمفـزع
يامن خزائن حكمهفى قول:كن	امنن فان الخير عندك اجمع
مالى سوى فقرى اليك وسـيلة	بالافتقار اليك فقـرى ادفـع
ما لى سوى قرعى لبابك حيلة	فلئن رددت فأى باب اقـرع ؟

ومن الذى ادعو واهتف باسمه ان كان فضلك من نقيرك يمنع
حاشا لمجدك ان تقنط عاصيا الفضل أجزل والمواهب اوسع (٩٩)

وما اشبه هذه المعانى بتلك التى صدرت عن محمد بن مكي ، ولاعجب .

وكانت شخصية ابن فهد الجامعة بين الظاهر والباطن والفقه والتصوف منعكسه من نفسه وتلاميذه الذين كان منهم الفقهاء كالشيخ على بن هلال الجزائرى استاذ الشيخ على بن عبد العالى الكركى (١٠٠) المعروف بالمحقق الثاني الذى استقدمه اسماعيل الصفوى من الشام ليساعده فى نشر التشيع وكان منهم الصوفية كالسيد محمد نوربخش المتوفى سنة ٨٦٩/١٤٦٤ – ٥ مريد السيد علي الهمداني ، وكان منهم الجامعون بين المشربين كالسيد محمد ابن فلاح المشعشع تلميذه وربيبه المتوفى سنة ٨٦٦/١٤٦٢ (١٠١) ولابد أن نشير الى ظاهرة متوقعة من ابن فهد هي اعتداله فى التشيع وبعده عن مزالق التعصب وتيار العاطفة العاصف ، فلم يؤثر عنه الا المودة والمسالمة ولم يتطرق فى انتاجه الى نقد ولاحقد . وينبغى ان نسجل لابن فهد ان انصرافه الى الخوض فى شؤون الزهد والعزلة هو الذى ارتفع به عما انشغل به الشيعة فيما بعد من تجديد الاتجاه العاطفى السلبى . على ان تشبع الجو بالقلق والترقب الشديد وايحاء المتصوفة والشيعة الى المجتمع بقرب ظهور المهدي أدى بتلامذة احمد بن فهد الحلي من ذوي النزعة الصوفية الى الاقتناع بأنهم هم الصفوة التي اختارهم القدر للتبشير بالمهدي عمليا ومن هنا ادعوا البابية له ومن ثم المهدية الكاملة كما يقضى بذلك منطق الاشياء .

ومات ابن فهد الحلى فى كربلاء ليكون قبره مزارا يأتى اليه العرب والعجم بالنذور (١٠٢) مما يوحى بامكانة الروحية التى احتلها فى قلوب

الناس حتى اعتقدوا ولايته وتلك نتيجة طبيعية لطراز حياته ونوع اتاجه •
وبعد انتقال ابن فهد الى عالم البقاء انفسح المجال لتعاليمه التى غرسها فـى
تلاميذه أن تظهر على شكل عنيف هز العراق وايران هزا عنيفا مما سنعرض
له فى حديث قادم •

المـراجـــــع

- احياء علوم الدين للغزالى (محمد بن محمد ، ت ١١١١/٥٠٥) ،
طبع المطبعة التجارية الكبرى بمصر ، بلا تاريخ •
- أمل الآمل فى علماء جبل عامل ، لمحمد بن الحسن الحر العاملي ،
ت ١٦٨٦/١٠٩٧ ، القسم الثانى ، طهران ١٣٢٠ •
- التحصين وصفات العارفين ، لاحمد بن فهد الحلي ، ت ١٤٣٨/٨٤١ ،
جزء من المخطوط (Add. 16,839) ، فى المتحف البريطانى بلندن
(ورقة ٢٥٣ ـ ٢٥٧) •
- الذريعة الى تصانيف الشيعة لأقا بزرك الطهرانى (محمد محسن ،
المولود سنة ١٨٧٦/١٢٩٣) ، النجف وطهران •
- الرسالة القشيرية لابى القاسم القشيرى (عبدالكريم بن هوازن ، ت
١٠٧٤/٤٦٥) ، مصر ١٩٤٨/١٣٦٧ •
- الرعاية لحقوق الله للمحاسبي (الحارث بن اسـد العنـــزي ، ت
٨٥٧/٢٤٣ ـ ٨) مراجعة وتقديم الدكتور عبدالحليم محمود وطه
عبدالباقى سرور ، مصر بلا تاريخ •
- روضات الجنات لمحمد باقر الخوانسارى ، ت ١٣١٣/٨٨٥ ـ ٦ ،
ايران ١٨٨٩/١٣٠٧ •
- الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل مصطفى الشيبي ، بغداد
١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ •
- طرائق الحقائق لحاج معصوم على النعمة اللهى الشـــيرازى ، ت

١٣٤٤/١٩٢٦ ، ايران ١٣١٩/١٩٠١ ـ ٢ .

- عدّة الداعي ونجاح الساعي لاحمد بن فهد الحلى ، تبريز ١٢٧٤ .
- فهرست كتابخانة مباركة مدرسة فيضية قم ، قم ١٣٧٨ /١٩٥٨ ـ ٩
- الكنى والالقاب للشيخ عباس القمي ، النجف ١٩٥٦ .
- لؤلؤة البحرين للشيخ يوسف البحرانى (بن احمد بن ابراهيم الحائرى ، ت ١١٨٦/١٧٧٢) ، ايران ١٢٦٣/١٨٥٢ ـ ٣ .
- مجالس المؤمنين للسيد نور الله التسترى المرعشى (ق ١٠١٩/١٦١٠) ايران ١٢٩٩/١٨٨١.
- محبوب الالباب فى تعريف الكتب والكتاب ، لخدابخش خان صاحب ، حيدر آباد ١٣١٤ .

---

(١) كذا فى أمل الآمل ، القسم الثانى ، ص ٣٣ ويورد الشيخ يوسف البحرانى اسم ابن فهد على الوجه الآتى : الشيخ جمال الدين أبو العباس أحمد بن شمس الدين محمد بن فهد الحلى الاسدى ، لؤلؤة البحرين ، ايران ١٢٠٦/١٨٥٢ ـ ٣ ، ص ١٠٦ .

(٢) لؤلؤة البحرين ص ١٠٦ ، وينقل الشيخ عباس القمى أنه ولد سنة ١٣٥٦/٧٥٧ « الكنى والاسماء ١/٣٧٤» .

(٣) مجالس المؤمنين ص ٢٤٩ ، الكنى والالقاب ١/٢٦٨ .

(٤) روضات الجنات ص ٢٠ .

(٥) راجع تاريخ العراق بين احتلالين ٣/٥٩ .

(٦) أيضا ٣/٦٢ .

(٧) أيضا ٣/٨٤ ـ ٨٥ ، ١٠٠ .

(٨) أيضا ٣/٥٧ نقلا عن انباء الغمر لابن حجر .

(٩) أيضا ٣/١٠٠ .

(١٠) مجالس المؤمنين ص ٢٥٠ ، روضات الجنات ص ٢٠ ، محبوب الالباب ص ١١٤ .

(١١) انظر روضات الجنات ص ٢٠ وقد ذكر الحر العاملى من مؤلفاته : المهذب ، شرح المهذب ، شرح المختصر النافع ، عدة الداعى ، المختصر ، الموجز ، شرح الألفية للشهيد ، المحرر ، التحصين ، الدر الفريد فى التوحيد (امل الآمل ، القسم الثانى ص ٣٣) ويضيف نور الله التسترى كتاب اللمعة الحلية (مجالس المؤمنين ص ٢٥٠) .

(١٢) مجالس المؤمنين ص ٢٥٠ ، وينقل الشيخ عباس القمي العبارة على نحو آخر هو : اهلا بناصرنا أهل البيت ، (الكنى والالقاب ١/٣٧٤) .

(١٣) مجالس المؤمنين ص ٢٥٠ .

(١٤) لؤلؤة البحرين ص ١٠٦ الذى وصفه بقوله « فاضل فقيه مجتهد زاهد عابد ورع تقي نقي الا أن له ميلا الى مذهب الصوفية بل تفوه به فى بعض مصنفاته » ولكنه لم يعين عنوان المصنف .

(١٥) روضات الجنات ص ٢٠ .

(١٦) فهرست كتابخانة مباركه، مدرسه فيضيه، قم، قم ١٣٧٨/١٩٥٨ـ٩، ص ٤١٨ وبالنسبة للتحصين يسميه أقا بزرك التحصين فى صفات العارفين ويذكر أنه « طبــع بايــران على هامش مكارم الاخلاق » (للطبرسي) انظر الذريعة .

(١٧) روضات الجنات ٢٠ .

(١٨) تاريخ العراق بين احتلالين ٣/١١٠ عنالغياثي ، ويقول الخوانساري: ان اشتهار محمد بن فلاح بمعرفة العلوم الغريبة كان عن طريق أخذه عن ابن فهد الحلي (روضات الجنات ص ٢٠) .

(١٩) انظر طرائق الحقائق ١/١١٩ وفى قم نسخة أخرى منــه انظــر وصفها فى فهرستها ص ٤٨١ . وعنــد الدكتور حسين علي محفوظ نسخة من هذه الرسالة ايضا .

(٢٠ـ٢٣) التحصين فى صفات العارفين ورقة ٢٥٤ ب .

(٢٤ـ٢٥) ايضا ٢٢٥ أ .

(٢٦) ايضا ٢٥٤ ب .

(٢٧) ايضا ورقة ٢٥٥ ب .

(٢٨) الصلة بين التصوف والتشيع ١/٦٢ .

(٢٩) التحصين ورقة ٢٥٧ أ .

(٣٠) التحصين ورقة ٢٥٤ ب ـ ٢٥٥ أ .

(٣١) عدة الداعى ، تبريز ١٢٧٤ . ص ٢٢٤ .

(٣٢) ايضا ص ٢٣٩ ـ ٥٨ .

(٣٣ـ٣٤) ايضا ص ١٠ .

(٣٥) ايضا ص ١٤ .

(٣٦) انظر ص ١١١ حيث نص ابن فهد عــلى « ان الله يحب الســـائل اللحوح » .

(٣٧) ايضا ص ٩٢ .

(٣٨) ايضا ص ٢٠ .

(٣٩) ايضا ص ٢٠٣ ٠
(٤٠) ايضا ص ٦٠ ٠
(٤١-٤٢) ايضا ص ٤٠٠
(٤٣) ايضا ٢١٥٠
(٤٤) ص ٢١٦ ٠
(٤٥) ايضا ص ٢١٦ ٠
(٤٦-٤٧) ايضا ص ٢١٩ ٠
(٤٨) ايضا ص ٥ وبالنسبة لما يقدر سئل الامام عنه فكان جوابه « حتى لا يكون » ٠
(٤٩) عدة الداعى ص ٥ ٠
(٥٠-٥٢) ايضا ص١٣٣ ٠
(٥٣) ايضا ، انظر ص ١٣٩ - ١٤١ ٠
(٥٤) ايضا ص ٢٥ ، وانظر اشارة أخرى الى فضل قبر الحسين فى الدعاء ، ص ٤١ مقترنة بنص يردده الداعي ٠
(٥٥) ايضا ص ٩٠ ٠
(٥٦-٥٧) ايضا ص ٩١ ٠
(٥٨) ايضا ص ٩٧ ٠
(٥٩) الاعراف ٧ : ٣٢ ٠
(٦٠) عدة الداعى ص ٨٢ ٠
(٦١) عدة الداعي ص ٨٢ - ٨٨ ووصفه فى موضع آخر بالعبارة « سيد الاوصياء ومكمل الاولياء ومرشد العلماء وامام الاتقياء ووالد الائمة الابناء ٠٠ » وتلك اوصاف تنعكس منها روح التصوف ممزوجة بالتشيع ، انظر ص ١٦٤ ٠
(٦٢) أيضا ص ٨٥ ٠
(٦٣-٦٥) أيضا ص ٨٦ ٠
(٦٦-٦٧) أيضا ص ٨٨ ٠
(٦٨) الشعراء ٢٦ : ١١١ ٠
(٦٩) هود ١١ : ٢٧ ٠
(٧٠) أيضا ١١ : ٩١ ٠
(٧١) الاعراف ٧ : ٧٥-٧٦ ٠
(٧٢) هود ١١ : ١٢ ٠
(٧٣) الزخرف ٤٣ : ٣١ ، وكل هذه الشواهد ترد فى عدة الداعى ص ٨٨ - ٩٠ ٠
(٧٤-٧٥) عدة الداعى ص ٦٥ ٠

(٧٦_٧٧) أيضا ص ١٥٥ ، وانظر قول الفضيل بن عياض : « ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك » ، فى الرسالة القشيرية ، مصر ١٣٦٧/١٩٤٨ ، ص ٩٦) .

(٧٨) عدة الداعى ص ١٥٧ ـ ١٦٤ .

(٧٩) انظر الرعاية لحقوق‌الله ، مراجعة وتقديم الدكتور عبدالحليم محمود وطه عبد الباقى سرور بلا تاريخ ص ١٣٢ ـ ١٦٥ .

(٨٠) عدة الداعى ص ١٦٢ ـ ١٦٤ .

(٨١) أيضا ص ١٦٤ ، وانظر ص ١٦٤ ـ ١٧٠ .

(٨٢_٨٣) أيضا ص ١٧٢ .

(٨٤) انظر احياء علوم الدين ، طبع المطبعة التجارية الكبرى بمصر بلا تاريخ ، ٣/٣٦٩ ـ ٣٧٨ .

(٨٥) عدة الداعى ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٨٦) أيضا ص ١٨٠ .

(٨٧) أيضا ص ١٩٠ .

(٨٨_٩١) أيضا ص ١٩١ .

(٩٢) أيضا ص ١٩٤ .

(٩٣) أيضا ص ٢١٠ .

(٩٤) انظر ص ١٨٩ ، ١٩٥ .

(٩٥_٩٦) أيضا ص ١٩٠ .

(٩٧) راجع تاريخ العراق بين احتلالين ٣/١٠٥ .

(٩٨) روضات الجنات ص ٢٠ ، طرائق الحقائق ١/١١٩ .

(٩٩) عدة الداعى ص ٢٠ ، وانظر قصيدة اخرى فى هذا المعنى (ص ٢٠ ـ ٢١) .

(١٠٠) روضات الجنات ص ٤٠١ ، طرائق الحقائق ١/١١٩ .

(١٠١) مجالس المؤمنين ص ٢٥٠ .

(١٠٢) طرائق الحقائق ١/١١٩ .

رسالة ... إلى صغاري السبعة

للشاعر عبد الصاحب الموسوي

أتحسون بالنوى يا صغاري   يا نجوما تلهو بآفاق داري

هل عرفتم كيف التحرق في الصدر ، وقيتم تحرقي وأواري

واذا اغمض النهار أشلى   يحتويكم ليل من الوجد ضاري

أسألتم عني مكاني لديكم   عند وقت العشاء والافطار

أفادت صغراكم اين بابا ؟؟   ابلغوها تلهفي واعتذاري

أنا من اجلكم صبرت على البعد   فهلا صبرتم بانتظاري

* * *

يا أحباي لو توهج صيف   في رمالي فمات شوك قفاري

واحتطبت الاسى فبددت للنار   طعاما يلهي سعار النار

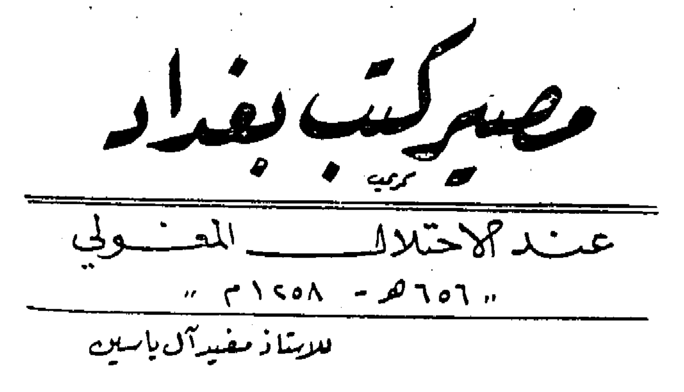
ورأيت السنين والعمر تذروه   رمادا دوامة الاعصار

لن تروني أمد لليأس كفا   شتلت كل مطمع معطار

أنا لو أطفئت شموع رجائي   ما تحولت عن لقاء نهاري

فانظروني غداً وقد أينع الحقل   وغصت سلالكم بالثمار

عبدالصاحب الموسوي
من ندوة عكاظ



مصير كتب بغداد

عند الاحتلال المغولي

"٦٥٦هـ - ١٢٥٨م"

للاستاذ مفيد آل ياسين

تمهيـــد :

قد يتوهم البعض فيذهب الى ان بحث موضوع اتلاف المغول لكتب بغداد لا يستحق جهدا ووقتا يصرفان في التنقيب عنه لغرض الوصول الى حقيقة أمره . ولكني اخالف من يتوهم ذلك ، وأقرر ان البحث في هـذه المسألة بحث رائق لذيذ ، لا لأني احس بالمتعة واللذة في استقصاء جليتـه بحسب ، بل لانه موضوع مهم في ذاته . ترتبت عليه خلال مرور الزمن احكام جعلها البعض من المسلمات ، في حين ان الادلة والبراهين والشواهد التي استند عليها لا تصلح ان تقوم ادلة يستطيع الباحث أن يحكم على الامر من خلالها .

ولهذا كان جهـدي ـ في هذا البحث ـ منصبا عـلى فحص تلك البراهين أو الادلة المسلمة لدى اولئك الذين يعتمدون روايـة او روايات ويتجاهلون أمثالها ، مع ان ابسط قواعد البحث العلمي لمسألة تأريخية تفرض على باحثها ان يستوعب مصادرها ويعتمد الاصيل منها .

وموضوعنا هـذا سبق ان نعته بالاهمية لان الغالبية الساحقة مـن المؤرخين الاسبقين والمحدثين يرجعون ضياع الكثير من كتب بغداد وفقدانها وتلفها الى ما فعله المغول بها أثناء غزوهم لها سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨ م) على يد هولاكو ويستندون في ذلك على مصادر معينة تختلف في تصويرهـا

للاتلاف او الاحراق او الاغراق .

وحيث ان مهمة المؤرخ الامين غير المتحيز اظهار الحقيقة واجلاؤها امام الناس . فقد حاولت جهدي ان ارجع الى المصادر الاولية في الموضوع مستقيا منها جلية الامر ، معتمدا عليها في اعطاء الصورة الصحيحة لهذه المسألة . فكان بحثي هذا ــ كما ستجده في الصفحات المقبلة ــ يقوم على ذكر الخزائن المهمة في اواخر الدولة العباسية وخاصة في عهد المستعصم آخر خلفائها ، ثم الاشارة الى بعض وسائل تلف الكتب غير المتقصد في ذلك العصر ، ثم نقل ما تذكره المصادر التي تؤكد حرق الكتب واتلافها من قبل المغول ، فالمصادر التي تسكت عن ذلك ، فالمصادر التي يستشف منها حقيقة الامر بما تلقيه من نور على الموضوع ، مختتما البحث بمناقشة لمختلف الروايات والنصوص الواردة فيه .

* * *

خزائن الكتب ببغداد في اواخر الدولة العباسية :

لابد لنا ــ بادىء ذي بدء ــ ونحن نحاول البحث في مسألة اتلاف المغول لكتب بغداد عاصمة العباسيين ، عند سقوطها على يدهم سنة ٦٥٦هـ[١] ان نذكر بايجاز حالة خزائن الكتب فيها قبل الغزو المغولي ، ليعطينا ذلك صورة واضحة عنها وعما جرى عليها بعد الغزو المذكور .

لقد كانت بغداد في أواخر الدولة العباسية مركزا مهما من مراكز الاشعاع الفكري والثقافي، ففيها العلماء الاعلام، الذين يشد اليهم الرحال، وفيها المدارس العلمية التي تضم بين حناياها جهابذة العلم واساتذة المعرفة، الى جانب مراكز التعليم الاخرى من ربط وغيرها . ولقد كان الخلفاء العباسيون يهتمون بالعلماء والمدارس العلمية ، حيث كانوا يزودون دور

كتبها بالعديد من مجلدات الكتب ، حتى ان الخليفة الناصر لدين الله بنى في سنة ٥٨٩هـ دار الكتب في المدرسة النظامية ونقل اليها عشرة آلاف مجلد ، منها الخطوط المنسوبة[١]. هذا الى جانب تزويده رباط الاخلاطية والرباط الذي الى جانب تربة والدته ورباط الحريم وغير ذلك بالكتب السنيّة وبالخطوط المنسوبة ايضا [٢] . ولقد ذكر القفطي في ترجمة مبشر ابن احمد بن علي الرازي المتوفى سنة ٥٨٩هـ بأن الخليفة الناصر قرّب منه ابا العباس احمد المذكور « واعتمده في اختيار الكتب التي وقفها بالرباط الخاتوني السلجوقي وبالمدرسة النظامية وبدار المسناة فانه ادخله الى خزائن الكتب بالدار الخليفية وافرده لاختيارها »[٣] .

ولقد نقل الى المدرسة المستنصرية عند افتتاحها « من الربعات الشريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والادبية ما حمله مائة وستون حمالا وجعلت في خزانة الكتب »[٤] .

كما هناك أشارات الى اهتمام الخليفة المستعصم بالكتب فقد عين في سنة ٦٤٠هـ شمس الدين على بن النيار في خزانة الكتب التي لخاصته.[٥] كما امر في سنة ٦٤١هـ بعمل خزانة للكتب في داره . [٦] ويرد الخبر بانشاء المستعصم لخزانتين متقابلتين للكتب .[٧] كما هناك اشارة الى اسناد خزانة المستعصم التي استجدها في آخر ايامه الى صفي الدين عبد المؤمن بن فاخر الارموي ، وقد كان الخليفة يزورها ويجلس فيها بعد ان عدل عن الخزانة الاولى التي كانت بادارة ابن النيار المار ذكره .[٨] ولقد ذكر الارموي نفسه بان المستعصم عيّنه والشيخ زكي الدين عبدالله بن حبيب في الخزانة المذكورة .[٩] ويمكننا معرفة خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد من وصف القلقشندي لها بقوله : « ان اعظم خزائن الكتب في الاسلام ثلاث خزائن احداها : خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد فكان فيها من الكتب

مالا يحصى كثرة ولا يقوم عليه نفاسة ...(١٠) .

هذه نبذة موجزة تبين لنا حال خزائن كتب الخلفاء ببغداد كما تلقى ضوءاً على خزائن كتب مدارس بغداد . ولابد لنا ان نشير الى خزائن الكتب الخاصة ، حيث كان لاغلب العلماء والوزراء ببغداد خزائن كتب خاصة بهم ، لا مجال لذكرها هنا ولكننا على سبيل المثال ننوه بما ذكره الفخرى عن خزانة الوزير ابن العلقمى التى كانت تضم عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب بالاضافة الى الكتب التى صنفت من اجله كالعباب للصاغانى اللغوى وشرح نهج البلاغة لعزالدين ابن ابى الحديد .(١١)

ولا يفوتني ان أنبه الى نقطة لعلها تسعدنا على توضيح الموضوع، وهي الوسائل التى تؤدى الى تلف الكتب بصورة غير مقصودة ، حيث يذكر لنا ياقوت الحموى حادثة طريفة عن غسل الكتب .(١٢) ويذكر ابن الاثير ان صلاح الدين الايوبى عندما استولى على قصر العاضد الفاطمى بمصر « وكان فيه من الكتب النفيسه المعدومة المثل ما لا يعد فباع جميع ما فيه » .(١٣) ولقد فقدت خزائن ومصنفات مهمة عن طريق حرق الكتب ، كخزانة ابن الملقن الذى بلغت مصنفاته نحو ثلاثمائة مصنف .(١٤) وخزانة ابى حيان التوحيدى ، (١٥) وخزانة عبدالسلام الجيلى التى ذهبت ضحية لاشتغاله بالفلسفة والفلك .(١٦) وهكذا فقدنا الكثير من الكتب النفيسة لاسباب وعلل مختلفة لم يكن فيها يد لغاز او مستبيح .

المغول وكتب بغداد :

هناك اجماع فى المصادر على استباحة المغول لمدينة بغداد ، واعمال السيف فى الرقاب ، ونهب الاموال ، وحرق بعض الاماكن ، وما الى ذلك من مظاهر الاستباحة والغزو والفتح .(١٧) والمهم هنا معرفة مصير كتب بغداد وما جرى لها على ايدى هؤلاء الغزاة .

فمن اقدم الاشارات الى ذلك ما ورد في الكتاب المنسوب ـ اشتباها وغلطا ـ للمؤرخ ابن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤ هـ قوله : « ويقال انهم ـ يقصد المغول ـ بنوا اسطبلات الخيول وطولات المعالف بكتب العلماء عوضا عن اللبن » [١٨] ثم ما ورد عند ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ، من ان المغول استولوا على قصور الخلفاء وذخائرها « وعلى ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعد ، وألقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم في دجلة وكانت شيئاً لا يعبر عنه ، مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لاول الفتح في كتب الفرس وعلومهم » [١٩]. كما يذكر القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ عن خزائن كتب الخلفاء ببغداد عند الغزو المغولي بانها « ذهبت فيما ذهب وذهبت معالمها واعفيت آثارها» [٢٠] . ويذكر ابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ عن كتب بغداد بانها أحرقت كما يقول ان المغول « بنو بها جسرا من الطين والماء عوضا عن الآجر » [٢١] . ويقول «وقيل غير ذلك » [٢١] . وهناك نص طريف لمؤرخ مكي توفي سنة ٩٨٨ أو ٩٩١ هـ جعل فيه بغداد على الفرات وقال : « ورموا كتب بغداد في بحر الفرات وكانت لكثرتها جسرا يمرون عليها ركباناً ومشاة وتغير لون الماء بمداد الكتابة الى السواد » [٢٢].

هذه أهم النصوص التي تدين المغول ـ الذين غزوا بغداد سنة ٦٥٦ هـ ـ باتلاف الكتب وخزائنها . وسأناقشها بعد ان أشير بايجاز الى المصادر التي سكتت عن مصير الكتب عند حادثة سقوط بغداد ـ وقد يفيد السكوت عدم حصول أي حادث للكتب ـ

فمن اهم المصادر التي سكتت عن هذه المسألة ، الرسالة المنسوبة لخواجه نصير الدين الطوسي المتوفي سنة ٦٧٢ هـ والمرافق لهولاكو عند غزوه لبغداد ، فهو لم يذكر شيئاً عن الكتب بينما يذكر نهب المدينة وغزو أموالها [٢٣]. وكذلك فعل رشيد الدين فضل الله المتوفى سنة ٧١٨ هـ

ـ والذى يعتبر بحق مؤرخ المغول الاول ـ حيث سكت عن مصير الكتب ، ولكنه ذكر القتل العام والنهب والاحراق والاستيلاء على قصور الخلفاء .(٢٤) كما نلاحظ السكوت أيضا عند اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦ هـ (٢٥) . وابى الفدا المتوفى سنة ٧٣٢ هـ . (٢٦) والذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .(٢٧) وغيرهم من المتأخرين كابن العماد الحنبلى المتوفى سنة ١٠٨٩هـ (٢٨) .

اما المصادر التى أنارت الطريق للكشف عن المسألة ، ففى مقدمتها معجم ابن الفوطى الموسوم بتلخيص مجمع الاداب فى معجم الالقاب . حيث يذكر لنا هذا المؤرخ البغدادى المعاصر للحوادث التى نحن بصددها فى ترجمة عزالدين بن ابى الحديد ما نصه : « ولما اخذت بغداد كان ـ يقصد ابن ابى الحديد ـ ممن خلص من القتل فى دار الوزير مؤيد الدين مع اخيه موفق الدين ، وحضر بين يدى المولى السعيد خواجة نصير الدين الطوسى وفوض اليه أمر خزائن الكتب ببغداد مع اخيه موفق الدين والشيخ تاج الدين على بن انجب ، ولم تطل ايامه فتوفى رحمه الله فى جمادى الآخرة من سنة ست وخمسين وستمائه » (٢٩) . وفى الحوادث الجامعة فى سنة ٦٥٦ : « كان أهل الحلة والكوفة والسيب يجلبون الى بغداد الاطعمة فانتفع الناس بذلك وكانوا يبتاعون باثمانها الكتب النفيسه ...»(٣٠) وفيه ايضا ان على شهاب الدين بن عبدالله عيّن صدراً فى الوقوف وقد عمّر جامع الخليفة الذى احرق اثناء الحادثة ثم فتح المدارس والربط واثبت الفقهاء والصوفية وصرف لهم رواتبهم لما سلمت مفاتيح دار الخليفة الى مجد الدين محمد بن الاثير وجعل امره اليه » (٣١) وفيه كذلك فى حوادث سنة ٦٦٢ هـ خبر قدوم نصيرالدين الطوسى الى بغداد لتفقد الاحوال والنظر فى الاوقاف والاجناد والمماليك وزيارته لواسط والبصرة وجمعه الكثير من كتب العراق لاجل الرصد .(٣٢) وأكد ذلك بن شاكر الكتبى الذى يذكر تأسيس الطوسى لرصد منهم بمراغة فيه خزانة كتب مهمة ملآها من كتب بغداد

وغيرها من المدن « حتى تجمع فيها زيادة على اربعمائه الف مجلد » (٣٣) وذكر ابن كثير ذلك ايضا وقال « نقل اليه ـ يعني الرصد ـ شيئا كثيرا من كتب الاوقاف التي كانت ببغداد » (٣٤) . وهناك اشارة عند ابن الفوطي الى سوق الكتب ببغداد سنة ٧٢٢ هـ . (٣٥) كما ان المدرسة المستنصرية قد نجت اثناء حادثة سقوط بغداد « اذ كانت على وضعها حين وصفها ابن بطوطة في سنة ٧٢٧هـ مطنبا في تصوير عظمتها ، وقد ذكرها حمد الله المستوفي بعد زمن ابن بطوطة باثنتي عشرة سنة فقال : «ان بناءها من أجمل المباني الباقية ببغداد يومئذ » (٣٦) . ولدى القلقشندي عن اوقاف بغداد ما يفيدنا في فهم مدى أثر المغول في نظم بغداد بعد سقوطها حيث يقول : «واوقافها جارية في مجاريها لم تعترضها ايدي العدوان في دولة هولاكو ولا فيما بعدها ، بل كل وقف مستمر بيد متوليه ومن له الولاية عليه ، وانما نقصت من سوء ولاة امورها لا من سواها » (٣٧) . واخيرا لا بد لنا من الاشارة الى الغرق الشنيع لبغداد في سنة ٦٥٤هـ (٣٨) ، وهو قبل حادثة بغداد بسنتين ، ولابد وانه ادى الى تلف قسم من كتبها ، خاصة وان الحبر هو مادة الكتابة الرئيس في تلك الحقبة من الزمن .

★ ★ ★

ولنا الان بعد ما اوردناه من نصوص ان نناقش الموضوع ، فنقول : ان اهم المصادر الاولية في موضوعنا هذا هي الرسالة المنسوبة للطوسي وكتاب رشيدالدين فضل‌الله ومعجم ابن الفوطي والحوادث الجامعه المنسوب لابن الفوطي ايضا ، فالمصدران الاولان لم يذكرا شيئاً عن الكتب بوجه الخصوص ، وانما اشارا الى النهب والقتل اللذين صاحبا الحادثة بوجه عام . في حين ان المصدر الثالث وهو معجم ابن الفوطي ذكر اناطة امر خزائن كتب بغداد بعد سقوطها بابن ابي الحديد واخيه موفق الدين وابن الساعي ، وهذا النص يشعرنا ببقاء خزائن كتب بغداد على حالها ، بحيث استوجب

الامر تعيين ثلاثة من كبار ادباء ومؤرخي العصر للاشراف عليها وادارتها ، كما ان هذا النص - في نفس الوقت - يدلنا على مدى التلاعب والتزوير في الكتاب المنسوب لابن الساعي والذي سبق لنا ان نقلنا ما ورد فيه عن مصير كتب بغداد حيث بدأ خبره بالتشكيك بلفظة « يقال » - بان المغول - بنوا اسطبلات الخيول وطولات المعالف بكتب العلماء ..[٣٩] في حين ان ابن الساعي وهو المؤرخ الكبير المعروف كان ببغداد وقت الحادثة وهو ممن نجا منها فلماذا يشكك في الامر ولا يجزم فيه وهو شاهد عيان . هذا الى جانب كونه احد الثلاثة الذين انيطت بهم مسؤلية خزائن كتب بغداد بعد سقوطها . ولعل هذا الخبر عن كتب بغداد في هذا الكتاب كخبرية الآخرين عن اسلام هولاكو قبل موته بطريقة عجيبة وبمعجزة للرفاعيين . واخباره عن ابي سعيد آخر سلاطين الايلخانيين الذي كانت وفاة ابن الساعي قبل ولادة السلطان المذكور باكثر من ثلث قرن من الزمان . كما ان ما ذكره المصدر الرابع وهو الحوادث الجامعة من ابتياع اهل الحلة والكوفة والسيب للكتب النفيسة من بغداد باستبدالها بالاطعمة ، يشعرنا بانتقال قسم كبير من كتب بغداد الى المدن المذكورة . ثم اذا ما لاحظنا ما ذكره صاحب الحوادث الجامعة ايضا ، وابن شاكر الكتبي ، وابن كثير ، والمقريزي[٣٩] عن نقل الطوسي للكثير الكثير من كتب بغداد والعراق الى الرصد الذي أسسه بمراغة نشعر ايضا بانتقال قسم آخر من كتب بغداد الى خزانة الرصد المذكور . وبملاحظتنا لما نقله القلقشندي عن اوقاف بغداد بعد سقوطها نستشعر بان قسما من كتبها - وهو جزء من الاوقاف - لم تعترضه ايدي المغول[٣٩] . وفي بقاء المدرسة المستنصرية على حالها وسلامتها من اذى الغزو في حادثة بغداد ، مع علمنا بانها كانت تضم خزانة كتب عظيمة فريدة ، لامر يجلب الانتباه حقا ، ويفيد ببقاء خزانتها على ما كانت عليه قبل الغزو المذكور حتى ان السلطان غازان زار خزانة كتب المستنصرية في

اول سنة ٦٩٦هـ (٤٠) • كما ان لاشارة ابن الفوطي في معجمه الى سوق الكتب ببغداد سنة ٧٢٢ هـ دلالتها الواضحة في ذلك (٣٩) •

واذا ما لاحظنا المصادر التي اخبرتنا باحراق واغراق المغول لكتب بغداد لوجدناها ـ ما عدا كتاب مختصر اخبار الخلفاء الذي لايمكننا الاعتماد عليه لكونه مدسوسا مزورا على ابن الساعي (٤١) ـ متأخرة نسبيا اذا قورنت بالمصادر الاخرى التي اعتمدناها آنفا • حيث انها ترد عند ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ وهو مغربي ، أرجع اتلاف المغول لكتب بغداد لعامل الثأر من المسلمين لما فعلوه بكتب الفرس وعلومهم في أول الفتح • فلماذا يثأر التتر للفرس ؟ ومن اخبر ابن خلدون بان المسلمين اتلفوا كتب الفرس وعلومهم عند الفتح الاسلامي لبلادهم ؟ لعل الاجابة على ذلك لايعلمها حتى العلامة ابن خلدون نفسه • كما ترد عند القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ وهو مصري ، وعند ابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤هـ وهو مصري ايضا ، وعند النهروالي المتوفى سنة ٩٨٨هـ او ٩٩١ هـ وهو حجازي مكي • جعل بغداد على بحر الفرات الذي تغير لونه من اثر مداد الكتابة الى السواد ، كما جعل من الكتب جسرا يعبر عليه مشاة وركبانا (٣٩) ويظهر انه اقتبس فكرة الجسر من ابن تغرى بردى ، ولكننا لاندرى من اين اقتبسها هذا الاخير؟ فلعله استنتجها من نص ابن خلدون حيث ذكر انهم رموا الكتب بدجلة فصور له خياله قيام جسر منها ! ولكن ابن تغرى بردى لايجزم في الامر حيث يورد خبر احراقهم لها كما يقول وقيل غير ذلك (٣٩) •

واخيرا لابد لي من ان اشير الى ان المغول لم يقصدوا في غزوهم لبغداد سنة ٦٥٦ هـ اتلاف الكتب عمدا او احراقها او اغراقها متقصدين • ولا انفي حصول مثل ذلك بصورة جزئية مما لايستبعد حدوثه لدى استباحة وغزو مدينة علمية مهمة في مركزها كبغداد • كما لابد لي ان اشير الى ان ضياع كتب بغداد وتلفها وفقدانها انما حصل بالغزو المغولي الثاني لهذه المدينة

ابتلاء ، ذلك الغزو الذى كان بقيادة تيمورلنك سنة ٧٩٥ هـ و ٨٠٣ هـ حيث قضى على مدارسها ونكب علماؤها وأسيء الى اهلها • حتى اننا لم نعد نجد في المصادر والكتب اى معلومات تذكر عن مدارس بغداد وخزائن كتبها خلال قرنين من الزمان اى من غزو تيمورلنك سنة ٧٩٥ وحتى اواخر القرن العاشر واوائل القرن الحادى عشر [٤٢] ويحدثنا ابن عنبه المتوفى سنة ٨٢٨ هـ عن خزانة المستنصرية بقوله «وكان المستنصرقد اودع خزانته في المستنصرية ثمانين ألف مجلد على ما قيل ، والظاهر انه لم يبق الآن منها شيء والله الباقي»[٤٣] •

وعلى هذا فأن مسؤولية فقدان واتلاف كتب بغداد تقع جريمتها على كواهل تيمورلنك ورجاله لا على غيره ، وأرى ان سبب جعلها احدى اعمال التخريب والتدمير التى صاحبت حادثة سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ عند من جعلها كذلك • كون هذه الحادثة أشهر لدى الناس من قرينتها التى كانت على يد تيمورلنك •

وبالاخير عساني ان اكون قد قدمت شيئا عن هذه المسألة التى تغافلها كتابنا ومؤرخونا ، راجيا منهم سد النقص والثغرات ان وجدوا فيه مايحتاج الى ذلك •

---

(١) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ٨/ق١/٤٢١ ـ ٤٢٢ طبع حيدر آباد الدكن •

(٢) المصدر السابق ص٦٣٧ •

(٣) القفطى : اخبار الحكماء ص ٢٦٩ طبعة لايبزك ١٩٠٣ م •

(٤) منسوب لابن الفوطى : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ص ٥٤ •

(٥) المصدر السابق ص ١٦٣ •

(٦) المصدر السابق ص ١٨٤

(٧) ابن عبدالحق : مراصد الاطلاع ١٣٢٢/٣ طبع مصر ١٩٥٤

(٨) ابن الطقطقى : الفخرى فى الاداب السلطانية والدول الاسلامية ص ٣٣٣ ـ ٣٤ طبعة بيروت ١٩٦٠ ٠

(٩) ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ٢/٣٩ طبع مطبعة السعادة ١٩٥١

(١٠) القلقشندى : صبح الاعشى ١/٤٤٦ المطبعة الاميرية بمصر ١٩١٤

(١١) الفخرى ص ٣٣٧

(١٢) ياقوت : معجم الادباء ٦/٢٣٥ طبعة مرغليوث ١٩٣٠ م حيث ورد فى ترجمة ابن الدهان الضرير الواسطى المعروف بالوجيه المتوفى سنة ٦١٢ هـ «وحدثنى محب الدين محمد بن النجار قال : حضر الوجيه النحوى بدار الكتب التى برباط المامونية وخازنها يومئذ ابو المعالى احمد بن هبةالله فجرى حديث المعرى فذمه الخازن وقال كان عندى فى الخزانة كتاب من تصانيفه فغسلته ٠ فقال له الوجيه : واى شيء كان هذا الكتاب ؟ قال كان كتاب نقض القرآن فقال له : اخطأت فى غسله ٠ فعجب الجماعة منه وتغامزوا عليه واستشاط ابن هبةالله وقال له : مثلك ينهى عن مثل هذا ؟ قال نعم ! لايخلو أن يكون هذا الكتاب مثل القرآن او خيرا منه او دونه ، فأن كان مثله او خيرا منه وحاشى لله ان يكون ذلك فلا يجب ان يفرط فى مثله ٠ وان كان دونه وذلك ما لاشك فيه فتركه معجزة للقرآن فلايجب التفريط فيه فأستحسن الجماعة قوله ٠ ووافقه ابن هبةالله على الحق وسكت» ٠

(١٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ١١/١٤٩ دار الطباعة بالقاهرة ١٢٩٠ هـ ٠

(١٤) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٧/٤٥ نشر مكتبة القدسى بمصر ١٣٥١ هـ ٠

(١٥) معجم الادباء ٥/٣٨٦ ٠

(١٦) اخبار الحكماء للقفطى ص ٢٩ ٢٠

(١٧) الطوسى : رسالة استيلاء المغول على بغداد ـ منشورة فى المجلد الرابع من مجلة المرشد سنة ١٩٢٩م ورشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ المجلد الثانى ١/٢٩١ ـ ٩٣ تعريب محمد صادق نشأت وزملائه طبع القاهرة ، والحوادث الجامعة ص ٣٣ واليونينى : ذيل مرآة الزمان ١/٨٥ وما بعدها طبع حيدر آباد الدكن وابو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٣/١٩٣ ـ ٩٤ ٠

(١٨) منسوب لابن الساعى : مختصر اخبار الخلفاء ص ١٢٦ ـ ١٢٧ طبع بولاق سنة ١٣٠٩ هـ ٠

(١٩) ابن خلدون : التاريخ ٣/١١٠٦ و٥/١١٥٠ طبع بيروت ١٩٥٧ ٠

(٢٠) صبح الاعشى ١/٤٦٦ ٠

(٢١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ٥١/٧ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٨ .

(٢٢) قطب الدين النهروالى : الاعلام باعلام بيت الله الحرام ص ١٦٣ مطبعة السعادة سنة ١٣٧٠ هـ .

(٢٣) مجلة المرشد المجلد الرابع ص ٢١ ـ ٢٨ .

(٢٤) جامع التواريخ المجلد الثانى ٢٩١/١ ـ ٩٣

(٢٥) ذيل مرآة الزمان ٨٥/١ وما بعدها .

(٢٦) المختصر فى أخبار البشر ١٩٣/٣ ـ ٩٤

(٢٧) الذهبى : دول الاسلام ١٢١/٢ طبع حيدر آباد الدكن .

(٢٨) شذرات الذهب ٢٧١/٥ وما بعدها

(٢٩) شرح نهج البلاغة ٥٧٥/٤ طبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر وانظر ابن الساعى : الجامع المختصر ٩/صك مع ملاحظة الهامش ، والحوادث الجامعة ص ٢٣٦ .

(٣٠) الحوادث الجامعة ص ٣٣١ .

(٣١) المصدر السابق ص ٣٣٣

(٣٢) المصدر السابق ص ٣٥٠

(٣٣) فوات الوفيات ٣٠٧/٢ ـ ٨

(٣٤) ابن كثير : البداية والنهاية ٢١٥/١٣ و ٢٦٨ مطبعة السعادة بمصر وانظر المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ١/ق٤٢٠/٢ ـ ٤٢١ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٦ .

(٣٥) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة فى العراق ص ٢٤ مطبعة المعارف ١٩٤٨م .

(٣٦) مصطفى جواد واحمد سوسة : دليل خارطة بغداد قديما وحديثا ص ١٨٠ مطبعة المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٥٨ .

(٣٧) صبح الاعشى ٣٣١/٤ ـ ٣٢ .

(٣٨) مرآة الزمان ٨/ق٧٩٤/٢ حيث يقول : « غرقت بغداد الغرق الشنيع لم يعهد مثله بحيث انتقل الخليفة الى دار المنشأة ودخل الماء دار الوزير ودار الخليفة وخرج خالى محى الدين من دار الخليفة وضرب خيمة على تل عال وجلس فيها باهله وغرقت خزائن الخليفة والمنابر وجرى شيىء لم يجر مثله وكان ذلك فى شهر ربيع الاول » .

(٣٩) يمكن الرجوع الى النصوص فيما تقدم من البحث .

(٤٠) ارجع الى نص ابن بطوطة المذكور سابقا . وانظر ناجى معروف : تاريخ علماء المستنصرية ص١١ وص٢٧٠ ـ ٣٠٤ مطبعة العانى سنة

١٩٥٩ حيث يؤكد على بقاء خزانتها على ما كانت عليه قبل الغزو ، كما يعتبر هذه الخزانة اعظم دور العلم العامة واشهرها فى العالم فى اواخر القرن السابع والثامن الهجريين ، لاسيما فى العهد الذى كان ابن الفوطى خازنا فيها ٠

(٤١) انظر مقدمة كتاب نساء الخلفاء لابن الساعى ص ٢٤ حيث يذكر الدكتور مصطفى جواد عن كتاب مختصر اخبار الخلفاء بانه «مدسوس عليه نحله اياه بعض المزورين الذين اعتادوا التزوير فى كل امورهم وشوءونهم» وراجع ما كتبناه عن الكتاب فى مجلة (المكتبة) التى تصدرها مكتبة المثنى ببغداد ـ العدد (٤٠)سنة ١٩٦٤ ٠

(٤٢) تاريخ علماء المستنصرية ص ١٣

(٤٣) ابن عنبه : عمدة الطالب فى انساب ال ابى طالب ص ١٨٢ طبعة بمبى سنة ١٣١٨ هـ ٠



في ليلة غائمة

للشاعر محمد النقدي

الليـل محـراب يرين على جوانبـه الخشـوع
ساجٍ سرادقـه الغيـوم فنـؤد الافـق الوسيع
تطفـو على جنباتـه صـور يعلّقها الربيـع
ومعـازف والهف قلبي لـو درى ماذا تذيـع !!

•

والبرق يخترق الفضـاء كأنـه ملك مـروع
ألقى السحاب عليـه ستراً شاع زخرفه البـديع
عبرالتخـوم فأومضت في كل ناحيةٍ شموع
في كل ركنٍ مزهـرٌ سـاجٍ ومبخرة تضوع

•

في ليلةٍ ولّتْ بهـا الذؤبـان واضطجع القطيع
والأعين الصخرية الصمـاء رمّـدها الهجـوع
وتثاءبت حتى النجـوم ونعّست حتى الـزروع
الّا عيـون لا تنـام ... لنا التهجد والركوع

•

وبسطت كفي للسماء وملءُ عيني الدمـوع
بخشـوع مأثـوم الى التقـوى يجاذبه النـزوع
وتنهـدت ترنيمـة مزمارهـا قلب صديع
ربّـاه منْ لخطيئـة كادت تشب لهـا الضلوع
ربـاه ألهمنـي السكينـة إن مدمعي الشـفيع
إن ضاع يا ربي نهاي فـان عفـوك لا يضيع

تاريخ العراق المعاصر

في حياة الشبيبي

للاستاذ احمد حسن الزيات

سيداتي سادتي :

رحم الله أخانا الشبيبي .. كان كرسيه في مؤتمر المجمع متميز الوجود مرموق المكانة ظاهر الجلالة وكان جهده العملي في المؤتمر واضح الاثر ، جاني الثمر ، خصب الانتـــاج .. وكان مكانه في العراق مكانة القائد المتبع ، تحلقت من حوله النوازع الجديدة في النجف وتجمعت من ورائه المبادىء الحرة في بغداد فقـــاد حركة الاصلاح الديني في الجامع وجاهد في سبيل الاصلاح السياسي في الحزب وشارك في معركة التحرر من الانكليز في الشعبية وكان تاريخه كله مثـــلا في الشجاعة والحفاظ والاستعلاء والانفة ... ومن جرائر هذه الخلال عليه انه لم يتـــول منصبا أو يتقلد وزارة الا استقال بعد قليل اما لباعث يرجع الى وطنيتـــه واما الى سبب يمت الى كرامته . استقال من وزارة المعارف مرتين ، مرة في سنة ١٩٢٥ لاختلافه مع رئيس الوزراء على اتفاقية النفط الاولى ، واخرى سنة ١٩٣٥ لاختلافه يومئذ على سياسة التعليم واختيار المعـــلم . واستقال من رئاسة المجمع العلمي العراقي وعضويته سنة ١٩٤٨ لعوائق من الاذى وضعها في طريقه خصيمه المبين نوري السعيد . واستقال من مجلس النواب سنة ١٩٥٠ مع النواب المعارضين الخمســة والثلاثين لاستطالة بعض الاعضـــاء الحكوميين على حرم المعارضة .... ثم دعاه التصون والاحتشام الى ضرب

من العزلة الشاعرة ابتدأت في حوش من احواش النجف وانتهت الى قصر من قصور الكرادة ، فقليلا ما كان يغشى مجلسا أو يشهد مجتمعا أو يحضر منتدى . لم يكن كمعاصريه الرصافي والزهاوي حديث مجلس أو نديم ملهى أو سمير انس أو شاعر حفل أو صاحب فكاهة ... انما كان طريقة وحده في سمو الخلق وشرف الصحبة ونبل الغرض ولذلك انحصرت شهرته بين طلاب الادب الرفيع من الخاصة واقطاب الرأي المعارض من الساسة .

كان وهو متربع في حجرته المتواضعة في النجف على حشيته الضيقة فوق حصيرته الواسعة وأوراقه منشورة امامه وكتبه منثورة حوله يرقب طالع العهد الجديد من بلاط الملك الهاشمي في الرصافة ومن دار المعتمد البريطاني في الكرخ .. فيرى الارادة العربية مكبلة بالقيود الانكليزية لا تتحرك الا بقدر ولا تتصرف الا باذن فيجيش صدره بالشعر المثير ويتحرك لسانه بالنثر الموقظ فتتناقل الافواه هذه الصيحات على شواطىء الفرات من الكوفة والحلة الى الناصرية والبصرة فتفعل فعلها الساحر في نفوس الشيعة الناقمين على الاحتلال والحكم والملك ... وعلماء النجف ، ومنهم الفقيد ، كانوا في عهد الغزو الانكليزي للعراق كما كان علماء الازهر في عهد الغزو الفرنسي لمصر .. اليهم يرجع الامر وعنهم يصدر التوجيه وعليهم يعتمد العامة .

كنت في مطلع العام الثلاثين من هذا القرن في بغداد أؤدي واجبا ادبيا في دار المعلمين العالية وكان الملك يومئذ في ايدي العرب والحكم في ايدي الانكليز والمناصب اعلاها في يد هؤلاء وادناها في يد اولئك . فكانت الحال في ذلك الحين محنة أبتليت بها كفاية الملك ، فالانتداب البريطاني كان قبل الملكية يعمل في العلن ويحمل التبعة فأصبح بعدها يعمل في السر

ولا تبعة عليه .. والحكومة العراقية كانت بادية البلى ممزقة الجوانب لا تستطيع بخروقها أن تستر العرش فالملك بحكم الوضع كان يستر الانكليز ولكن الوزارة بحكم الضعف كانت تكشفه وكانت اوزار اولئك وأخطاء هؤلاء تحمل في رأي المعارضة والشعب على الملك .

والشعب العراقي على اختلاف نوازعه وعقائده وأجناسه ناقد ، متمرد ، طموح ، لا يصبر على مقت ولا يغفل عن خطأ . وكانت الشيعة أشد الناس ضيقا بهذه الحال لانهم كانوا على كثرة عددهم ووفرة ثرائهم قليلي الحظ من المناصب القيادية ومرجع ذلك الى ان الذين مالئوا فيصلا في ثورة العرب على الترك في الحجاز وآزروه على تبوء العرش الاموى في الشام وهاجروا معه ، بعد ميسلون ، الى حاضرة الملك العباسي في العراق .. كانوا من الضباط العراقيين السنيين الذين ربتهم تركيا في مدارسها وأعدتهم للحكم والحرب كجعفر العسكرى وياسين الهاشمي ونورى السعيد فثبتوا اركان الدولة وتقلدوا مناصب الحكومة .

والشيعيون في العراق والمارونيون في لبنان كانوا في خلافة بني عثمان كالموالي في خلافة بني امية .. أبعدوا عن مناصب الدولة فاشتغلوا بالعلم ، وحيل بينهم وبين موارد الثقافة في عاصمة الخلافة فاعتمدوا في التعليم على انفسهم . وكان اعتماد الشيعة في التعليم على النجف ، والنجف كانت كالازهر ، لا تخرج الا فقهاء في الدين وعلماء في اللغة ، اما سائر الشعب فقد ظل تابعا لهؤلاء يسير على هديهم وينزل على حكمهم ويجري في امور دينه ودنياه على سننهم . فلما كانت الملكية الفيصلية لم تجد في اكثرهم من يصلح للوظائف العامة فتولاها اخوتهم من اهل السنة .. لذلك كان اول ما اثار عجبي يوم قدومي الى بغداد اني وجدت وزير المعارف أمياً يختم بخاتم ولا يوقع بقلم ، فلما سألت عن السبب قيل لي ان العرف جرى بأن يكون في الوزارة عضو شيعي وهذا الرجل ثري مسالم فوقع اختيارهم

عليه ، ولا ضير أن يكون وزير المعارف اميا ما دام الامر كله بيد المستشار الانكليزى .. وقد جربوا فى الوزارة من جربوا من ائمة الشيعة فلم يحمدوا التجربة لان هؤلاء العلماء كانوا يستريبون بحاشية القصر ويستوحشون من دار الاعتماد فارادوا ان يغلوا من ايديهم ويكفوا من السنتهم فمنعوهم ورد الفرات والفرات نهر الشيعة تنزل على ضفافه الخصيبة القبائل البدوية ، ويفرض المجتهدين . بقواه المادية والروحية . وتقسمت الاهواء والاراء سياسة البلاد . فحزب يؤيد الانتداب لانه سند العرش وانتظام الحكومة ومصدر القوة ويتزعمه نورى السعيد ، وحزب يناصر الشعب لانه صاحب الارض ومادة الجيش ومصدر الانتاج ويتزعمه ياسين الهاشمى وهوى الشيعة طبعا مع هذا الفريق لبعض الاسباب التى ذكرت . وفقيدنا الشبيبى رضوان الله عليه كان فى بؤرتها من الاحداث يتجمع فيه شعاع الوطنية ثم ينتشر عن شعره ونثره هدى للقلوب وضياء فى الاعين .

كان هواه مع المعارضة فاذا وزر ياسين ادناه واذا وزر نورى اقصاه فولى وزارة المعارف خمس مرات لم يلبث فى كل مرة الا بمقدار ما يصمد بحزبه من دسائس البلاط ووساوس الانتداب ، وقليلا ما كان يصمد .. فما الذى جعل من طالب العلم الديني فى النجف الاشرف :

عالما ذا كتاب ، وكاتبا ذا قلم ، ومحاربا ذا سيف ، وسياسيا ذا وزارة ، ومصلحا ذا رسالة ، ومجمعيا ذا رأي ؟!

ان نسبه العريق فى العلم وان حياته الطويلة فى العمل ليجيبان عن هذا السؤال ابلغ الجواب :

ولد محمد رضا بن محمد جواد بن شبيب بمدينة النجف سنة ١٨٨٨ فى أسرة معروفة بالعلم موصوفة بالسيادة . فقد كان جده شبيب ، الـذى ينتسب اليه ، من اعلام الفقهاء المحدثين فى عصره وقد ورث بنوه ، فيما

ورّث ، الميل الى علوم الدين وما يعين عليها من وسائل ، فتهيأ رضا لتلقي الامانة بحفظ القرآن وتعلم الخط على مقرئه صالحة .. ثم طلب علوم اللسان والعقل على طائفة من خيرة العلماء العرب والفرس ذكرهم في ترجمة حياته .. وكان ميله الغالب الى علوم المنطق والفلسفة والادب فقرأ فيها امهات الكتب وجمع منها نوادر المخطوطات . وكان منهج التعليم فى النجف على النمط القديم .. يلازم الطالب استاذا بعينه فى علم بعينه حتى يخرجه فيه ويجيزه به .

الا ان مجالس كانت تعقد في اروقة النجف يغشاها كثير من الطلاب ليستمعوا الى محاضرات فى الاصول والفقه يلقيها ائمة العصر كمجلس الاصول للملا كاظم الخراساني ومجلس الفقه لفتح الله الملقب بشيخ الشريعة ، وكان من بين هؤلاء الطلاب فقيدنا الشيخ الشبيبي .. فلما استحار شبابه واكتملت آلاته وبرزت شخصيته تحركت في نفسه نوازع القيادة الاصيلة في بيوت العلم في النجف .. وعلماء الشيعة فى العراق وايران ظلوا فى جميع العهود قوامين على الناس لايتحرك متحرك ولايسكن ساكن الا باشارة من مجتهد او مقالة من عالم لان وراثة الائمة الاثنى عشر كانت فيهم وجباية الصدقات كانت في أيديهم .. ومن هناك نشأت لهم في المجتمع الشيعي ارستقراطية طبقية وزعامة قومية كان لها في اقاليم الفرات الاثر الفعال فى كل ثورة .

والشبيبي كان واحدا من هؤلاء العلماء يرى نفسه بحكم مرضاه (كذا) وطبيعة بيئته زعيما بطبعه ، سياسيا بنشأته . فلم يكد فجر اليقظة العربية يلوح فى الاقطار العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى ، ومنها العراق ، حتى ألف من شباب النجف والكوفة وكربلاء والحلة جماعة تدعو الى الاصلاح السياسي والاجتماعي ، وجعل يذيع منهج هذا الاصلاح بشعره ونثره في المجلات المغربية والسورية والعراقية ، ويقول مؤرخوا الادب العراقي الحديث انه

من أوائل من طرق الموضوعات الاجتماعية وتناولها فى شعره بين شعراء العراق واولهم على الاطلاق بين شعراء النجف • ومنذ يومئذ أخذ ذكره يسير وشعره يروى وامره يظهر حتى احتل الانكليز العراق ، وأقاموا حكومة من ضباط الجيش تستند الى حاكم بريطانى عام لا الى زعيم عربى مستقل فرأى العراق ان وعد مكماهون مكذوب وان عهد الحلفاء منقوض وان الغدر بالعرب مبيت ، فهب يطلب من المحتلين انيكشفوا الغطاء عن بصره ليرى ، وان يرفعوا الكمامة عن فمه لينطق ، وان يعقدوا مؤتمرا يمثل الشعب العراقى ليقرر نظامالحكم ويختار رئيس الدولة • فأبى الانكليز عليه ذلك ونفوا من نفوا واعتقلوا من اعتقلوا فثار العراقيون عليهم ثورة الاباة الاعزة بعد ان افتاهم ائمتهم بالجهاد المسلح وغذاهم ادباؤهم بالشعر المثير وذلك قول الشبيبي :

بني يعرب لا تامنوا للعدى مكرا ... خذوا حذركمفالقومقد أخذوا الحذرا
يريدون فيكم بالوعود مكيدة ... ويبغون ان حانت بكم فرصة غدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا ... اضاليلهم فى الهند والكذبفى مصرا
ومن مات دون الحق والحق واضح ... اذا لم ينل فخرا فقد ربح العذرا

وكان من رأى الشبيبى فى الاجتماع الذى عقده الحاكم الانكليزى فى النجف ان تقوم فى البلاد دولة عربية سيدة وحكومة دستورية مستقلة ، فلم يكد الحاكم العام يدرك ما قال حتى قاطعه بضربة من يده على المنضدة فثارت الحفيظة بالعربى الابى فأنتفض انتفاضة الغضب وولى ظهره الحاكم وخرج فخرج معه اكثر قومه • ثم اخذ يؤرث النار على الغزاة بين قبائل الفرات مرة بالدين ومرة بالشعر حتى رأى، هو ورفاقه، ان يصلوا اسبابهم برجال الثورة العربية فى الحجاز وسوريا ليوحدوا الوية الجهاد فى مختلف البلاد • فجمع الحقائق وحرر الوثائق وسافر مندوبا عن العراقيين فى اواخرسنة ١٩١٩ الى مكة عن طريقالبادية ليقابلالحسين ثم الى دمشق ليلتقى

فيصل • فكانت وثائقه التي حملها وحقائقه التي رواها قوة من الحق والواقع تجهز بها فيصل امام الحلفاء في موءتمر الصلح • ثم قر قراره في دمشق سنة كاملة شارك في حوادثها وجرى في مجاريها واجتهد لياسين وصحبه بالمشورة وتحرى للملك وحاشيته وجوه النصيحة، حتى قررت عصبة الامم ان الاقطار التي انفصلت عن تركيا لم تبلغ الرشد فلا بد ان تقوم عليهـــا وصاية من الدول الكبرى • فانتدبت انكلترا لفلسطين والعراق واختيـرت فرنسا للبنان وسوريا فخرج العرب بذلك القرار من ظلم معلوم الى ظلام مجهول ومن استبداد الفوضى الى استعداد منظم ومن سلطان دولة ضعيفـة الى سيطرة دول قوية • هنالك عصفت النخوة في نفوس الادباء ورؤوس القادة فقطرت الاقلام سما في هجاء الحلفاء وسالت النفوس دما في واقعة ميسلون، ولكن قدر الله غالب ، والمعتمد على غير الله مغلوب ، فانتقم الصليبيون من العرب وانتصر القائد غورو على الملك فيصل وتبددت فكرة الجامعة العربية كما يتبدد الحلم الجميل في حقيقة اليقظة •

رأى الشبيبي ذلك كله بعينه • رأى العرش العربي وهو يسل في دمشق والملك الهاشمي وهو يفر الى فلسطين •• فلم يجد بدا من النجاة بنفسه على ظهور الابل الى العراق •• وفي النجف رأى ثورة الفرات ، وقد تركها شرارا يتطاير هنا وهناك قد اصبحت اوارا يرعى العدو رعي الهشيم فشايع الثوار وشيع النار حتى رأى الانكليز ان الثورة جد وان مقاومتهـا هزيمة فأذعنوا كعادتهم لسلطان القوة واستجابوا على رغمهم لمطالب الامـة ووطأوا عرش الرشيد للملك فيصل فاعتلاه في اوغسطس عام ١٩٢١ •

وذكر رجال العهد الجديد للكريم الفقيد مواقفه الجلى من قضية الاحتلال وثورة الاستقلال فكان الملك يستزيره ويستشيره ثم اسند اليـه منصب الوزارة خمس مرات اولاها في وزارة الهاشمي سنة ١٩٢٤ واخراها في وزارة الصدر سنة ١٩٤٨ ، ثم اختير عضوا في مجلس الاعيان فرئيسا له

سنة ١٩٣٧، ثم انتخب عضوا في مجلس النواب فرئيسا له سنة ١٩٤٣، وكان كما قلت لايلبث فى كل منصب تولاه الا ريثما يبدأ عمله المستقل ويبدي رأيه المعارض، والاستقلال والمعارضة يأباهما العرش القائم على كواهل الانكليز. والانكليز كانوا الفاعل المستتر فى جميع افعال الدولة وهم لاينسون ان الشبيبى حاربهم مع الترك فى الغزوة وقاتلهم مع العرب فى الثورة فمن الطبيعى ان يسلطوا عليه جلادهم نورى السعيد فوضع فى طريقه العوائق وراح يدس من حوله الدسائس حتى يعيده يائسا الى عزلته فى الكرادة يبحث ويؤلف ويحقق ويحاضر ويمد المجامع العلمية فى بغداد ودمشق والقاهرة بثمرات فكره وحصيلة اطلاعه.

وان مجمع اللغة العربية ليشهد ان فقيده الكريم لم يتخلف عن شهود موءتمر من مؤتمراته منذ انتخب عضوا فيه سنة ١٩٤٨ الا مرة واحدة، ولم يحضر دورة من دوراته الا مزودا بطائفة من البحوث القيمة والملاحظات الصائبة والاقتراحات السديدة، كان يلقيها علينا فى تواضع فيه عزة وتؤدة فيها ثورة، وثقة فيها يقين، جاءه من سعة علمه وصحة تثبته .. ذلك الى سمو في خلقه، ونبل في هواه، وبروز في ذاته جعلته طوال عضويته في المجمع عميدا لاعضائه الشرقيين بحكم الواقع. يتكلم عنهم يوم افتتاح المؤتمر ويوم اختتامه. ولجهاده الطويل المثمر في سبيل العرب والعربية كرمته جامعة القاهرة حتى منحته درجة الدكتوراه الفخرية فى الادب والتاريخ، واحتفت به اندية الادب ومعاهد العلم فى عواصم العروبة، تقديرا لجهوده للعلم والسياسة .. ثم كان من اثاره على الوحدة ان دعا الى عقد مؤتمر المجمع فى بغداد توثيقا للرابطة وتوحيدا للوجهة فانعقد هناك استجابة لدعوته وتحقيقا لرغبته .. ولكن صاحب الدعوة وا أسفاه لم يحضر الدعوة. كان يشهد الاحتفال بليلة الاسراء في القدس في جمع من علماء المسلمين فلم يكد يدرك المؤتمر حتى ادركه حينه وخلا مكانه. وذهب هذا الفضل كله وهذا العلم كله

في فجأة من فجئات القدر ، وخلجة من خلجات المنون فلم يغن عنه طب الطبيب ، ولا حب الحبيب ولا امس الحاجة •

كان الشيخ محمد رضا الشبيبي من العلماء المكثرين والشعراء المقلين، فله في العلم عشرات المؤلفات والمقالات ، واما في الشعر فله ديوان مفرد ذلك لانه كان يبذل العلم للناس ولكنه كان يقول الشعر لنفسه •• ونفسه كانت لا تكلفه الشعر الا لخاطرة تجيش في ذهنه ، او عاطفة تندس في خياله ، أو واقعة تنطبع في حسه ، فلم يقرض الشعر عن طلب ولم يقرضه لمناسبة •• وقد يسأله بعضهم ان ينظم في معنى معين فقال له : لاينبغي لاحد ان يقول للشاعر : انظم في كيت وكيت ، انما الشعر شعور يجيش في النفس فيجرى على اللسان •

وشعره ، على قلته ، من محكم الشعر وجيده ، نحا في معانيه منحى المعرى فى النقد والحكمة ونهج فى اسلوبه نهج الحمدانى فى الجزالة والعذوبة ، فمن معرياته قوله :

يا للرزية كم يفرق بيننا	وتفصلنا الأضغان والاحقاد
جارت علينا عصبة روحية	شقيت بها الارواح والاجساد
ذلوا بحبهم المعاش وبرهنوا	ان ليس من بعد المعاش معاد
ذهبوا بدعوى فى الصلاح عريضة	ان الصلاح من الشيوخ فساد
يتثاقلون ويجبنون عن العلا	ليقال ان شيوخنا زهاد
لا يحسدون على المعالي امة	وهم على علاتهم حساد
ان الزعامة سلمت لزعانف	فى الشرق قادوا اهله فانقادوا
انظر الى الاعجاز كيف تصدرت	وعمائم السادات كيف تساد
شر العصور وفى العصور تفاوت	عصر به تتقدم الاوغاد

ومن حمدانياته قوله في مدينة صيدا وقد زارها في رحلته السياسية سنة ١٩٢٠ :

رحلت اليها بالصبابة انبا	مرام فتى مثلي صباباته كثر

عمدت الى كأس السلو فذقتها | وكأس الجوى طعمان احلاهما المر
لقد أطلقت صيداء طائر ايكة | ببغداد اعياه وارهقه الاسر
غريباً من الاطيار فيها توافرت | خوافيه واشتدت قوادمه العشر
وازعجني من بلدتي مزعج القطا | فهل انت ياصيداء - لابلدى - وكر؟

نعم لم يزل يعتاد قلبي اضطرابه
كما اضطربت ضمن الشباك القطا الكدر
أأنسى زمان الكرخ والكرخ معرس
وتذهب عن ذكري الرصافة والجسر ؟

هوى البحث اقصاني ومالي جانب | - ابى الله - عن زوراء دجلة مزور

ومما انفرد به عن ابى العلاء وابى فراس وطنياته التى توثب النفوس على المستعمر وتشيع الوئام بين الاخوة وتدعو العرب الى الوحدة :ـ

كونوا الوحدة لا تفسخها | نزعات الرأي والمعتقد
انا بايعت على أن لا ارى | فرقة هاكم على هذا يدي

ثم اجتماعياته التى تصور العيوب وتظهر النقص باللسان العف الذى يتميز به والبيان الحق الذى ينطبق عنه وذلك كقوله :ـ

فتنة الناس وقينا الفتنا | باطل الحمد ومكذوب الثنا
رب جهم حولاه قمراً | وقبيح صيراه حسنا
ايها المصلح من اخلاقنا | ايها المصلح الداء هنا
كلنا يطلب ما ليس له | كلنا يطلب ذا حتى انا
ربما تعجبنا مخضرة | اربع بالامس كانت دمنا
لم تزل - ويحك - ياعصر افق - | عصر القاب كبار وكنى
حكم الناس على الناس بما | سمعوا عنهم وغضوا الاعينا
فاستحالت - وانا من بعضهم - | اذني عيناً وعيني اذنا
انا نجني على انفسنا | حين نجني ثم ندعو : من جنى !؟
بلغ الناس الاماني حقة | وبلغناها ولكن بالمنى
اخطأ الحق فريق بائس | لم يلوموا ولاموا الزمنا
خسرت صفقتكم من معشر | شروا العار وباعوا الوطنا
ارخصوه ولو اعتاضوا به | هذه الدنيا لقلت ثمنا

يا عبيد المال خير منكم جهلاء يعبدون الوثنا
انني ذاك العراقي الذي ذكر الشام وناجى اليمنا
انني اعتد نجداً روضتي وارى جنة عدني عدنا

اما احاديث نفسه ومطامح هواه فقد عبر عنها باللفظ المونق والاسلوب البكر والخيال القصد بين العقل والقلب ومن يسمع عنه شيئا لايجد فى اذنيه صدى يتجاوب لشاعر سابق ولانغمة تتردد من لحن قديم . ولو كان المقام مقام تفصيل وتحليل لذكرت الادلة وسردت الامثلة . ولكن حسبى فى مقام الاسى ان اذكر ابياتا تدل بمبناها وبمعناها على ان الشاعر الفقيد كان اذا تخلص من كساد التقليد واخفت فى مسمعيه اصوات الماضى ، عاد الى طبعه الاصيل وفكره الحر فيأتى بالمعنى الطريف فى الاسلوب البديع كقوله فى واقعة حال تردد فيها عزمه بين العقل والهوى :-

قلبي يريد بلا غب زيارتكم والعقل ينهاه الا بعد اغباب
قضية بقياس الروح موجبة وللنهى جنبتا سلب وايجاب
ما انت ممن يريد الحب فلسفة - يا قلب - ذات براهين واسباب
تنبه العقل للسلوى يحركني فنبهت حركات الشوق اعصابي
ما زال فىالصلوات الخمسذكركم نجوى مصلاي أو تسبيح محرابي
لم ادر ما اتهجى ؟ غير انكم فى اللحن لحني وفىالاعراب اعرابي
قد يحجز الدهر ما بيني وبينكم مذ ساعة ، فأراها منذ احقاب
وطالما صرت فى وجه ولم ارني الا وقد علقت يمناي بالباب

وكان للشبيبى ، رضوان الله عليه ، تجديد فى عمود الشعر ولكنه تجديد المحافظ لا تجديد المضيع ، جدد فى المعانى والاغراض وحافظ في الاوزان والقوافى فهو يقول على نحو ما قال ابو نوءاس . بالامس من قبل :

الى الآن لا يستملح الشعر ان علا ولا يستجاد القول ان لم يلفق
قريض طلول دارسات واربع وشعر جمال سائرات وابنق

مقيــدة ابوابــه وفنــونه وادهى دواهي الشعر تقييد مطلق
اذا لم يجئك الشعر عفواً تحــامه وان لم يســعك الخلق لا تتخلــق

وهو بعد ذلك كله يؤلف مع الرصافي والزهاوي والكاظمي والنجفي الاوتار الخمسة لقيثارة الشعر العراقي في الثلث الاول من هذا القرن على تفاوت بينها في الجهورة واللمس والغلظة والرقة والضحولة والعمق . وكان هو من بينها الوتر الحساس الذي لايمله سمع ، ولا يمجه ذوق ، ولا ينكره فن .

اما نثره فهو نثر العالم لا نثر الاديب ، لان النبوغ في الصناعتين قلما يتفق لاحد . وميزة الاسلوب العلمي ان يكون لفظه قدرا لمعناه وطريقه قصدا لغايته كقوله مثلا من كلمة كتبها في التفوق الغربي الموهوم وهو في وفرة شبابه وسطوع نجمه ، قال :

[نحن الان في عصر الشك كما يقول فريق من اهل الغرب ومن ذلك ان شكنا الان يتناول حتــى أسس الثقــافة التي يريدها معظم الغربيين الشرقيين ومن بين هذه الاسس غمز الشرقيين والتنديد تصريحا او تلميحا بقيمة اثرهم في الحياة حتى ضعفت ثقة شباب الشرق بانفسهم وببطولة أسلافهم ، وتلاشت في بعض الجهات وحل محليا الثقة المطلقة بتفوق الغربيين الى ان نشبت الحرب العالمية الاخيرة واسفرت بعد ان ظهرت اسبابها ونتائجها للعيان عن حركة فكرية عامة تجتاح الان افكار البشر بدون تمييز ويتوقع ان يكون من هذه الحركة الفكرية رجوع القوم عن الشطط في احكامهم على الشرق والشرقيين ونبذ دعوة التفوق الغربي الموهوم والتسليم بتكافوء المواهب والكفايات في أصل فكرة الجنس البشري ، فليس في الدنيا من هذه الناحية شرق ولاغرب بل بشر يتداولون التفوق والغلبة وفق احكام سنة الكائنات العامة .. ولاشيء انفع في تجديد شباب الشرق واستئناف قواه للعمل في سبيل حضارته من رسوخ هذه العقيدة فيه] .

ومما كتبه في اواخر ايامه قوله لمقدمة كتابه [ادب المغاربة والاندلسيين في اصوله المصرية ونصوصه العربية] :

[من اهل زماننا قوم شغفوا بالجديد لانه جديد وذهبوا الى استبعاد القديم من تراثنا في الاداب والفنون لانه قديم . والحق ان العبرة في الشعر ليست في حداثة عهده على ما يراه قوم ولا في قدم عصره كما يذهب اليه آخرون .. بل العبرة في هذا الباب بلطف المعنى وسلامة المبنى وبلاغة العبارة وصدق العاطفة وجمال الشعور والتصوير ، وان من الشعر لما يهز النفس ويرضي الوجدان وان من الشعر لما يلهم الصواب ويهدى الى الحكمة .. فاذا توافرت في الشعر القديم هذه الخصائص فهو شعر جديد واذا خلا منها الشعر الحديث فهو شعر رث عتيق . هذا ولا ابالغ اذا قلت اني عاهدت نفسي واخواني الدارسين ان لايجدوا في هذا البحث الا كل شيء جديد ، جديد في الجوهر والروح ، قديم في الشكل والصورة . وهذا هو اسلم المقاييس في حكمنا على القديم والجديد] .

فانتم ترون ايها السادة من هذين النموذجين ان اسلوبه سلس واضح مقرب لاتقويه تصاوير البيان ولاتحليه تحاسين البديع لان التلاؤم والموسيقية والاناقة وغيرها من صفات النثر الفني لاتقتضيها احوال العلوم . والموضوعات التي كان يعالجها فقيدنا الباحث كانت ادخل في باب العلم فسبيلها الاقناع لا الامتاع ودليلها المنطق لا الخطابة .

فمن مؤلفاته تاريخ الفلسفة من اقدم عصورها الى اليوم ، وادب النظر في المناظرة وتذكرة فيما عثر عليه من الكتب والاثار النادرة وفلاسفة اليهود في الاسلام لخص فيه فلسفة ابن كمونة وابن ملكان والمأنوس من لغة القاموس ومؤرخ العراق ابن الفوطي والمسألة العراقية وتاريخ النجف وادب المغاربة والاندلسيين في اصوله المصرية ونصوصه العربية ، ثم تراثنا الفلسفي وهو

آخر كتاب طبع للفقيد • ومن بحوثه التي القاها في موءتمر المجمع : النهضة الادبية العربية في العراق ، والالفاظ الايوبية في كتاب تقويم النديم ، وبين الفصحى ولهجاتها ، وفي فقه الاساليب ومصادر الشك في كتاب العين ، وسنة التطور في اللغة وفي تاريخ اللهجة المصرية وبلبلة اللهجات وأصول اللهجة العراقية وابن خلكان وفن الترجمة ، ولهجات الجنوب ، وتراثنا القديم من المصطلحات ، وثقافتنا اللغوية في عصر المغول ، وبين مصر والعراق في ميدان العلاقات الثقافية • وقد سردت هذه العناوين سردا لاقول ان طبيعتها هي التي فرضت عليه هذا الاسلوب العلمي فباينت بين صيغ الفن في شعره ونثره •

اما بعد ايها السادة ، فهذا موجز لحياة رجل عظيم اقل مفاخرها موضوع كتاب وجملة ماثرها تاريخ خطبة • والرجولة والعظمة صفتان يجمعهما ما اوتي من مناقب مصدرها خلقه ومواهب مصدرها علمه • كان رجلا بالمعنى الرفيع الذي يفهمه المهذب من لفظ الرجل ، وكان عظيما بالمعنى البديع الذي يدركه المثقف من كلمة العظيم • ولو ذهبت لاحلل حياته الى عواملها الاولية لوجدتها في الخلال : الصدق والصراحة والاباء والشجاعة وهذه هي الرجولة •• وفي الاعمال : العمق والشعور والاتقان والتفرد وهذه هي العظمة • وفقد رجل كهذا الرجل ، حياته تاريخ ، وعمله رسالة ، وخلقه قدوة ، وكفايته ثروة ، خسارة انسانية لاخسارة قومية ، ومصاب امة لامصاب اسرة وفجيعة منفعة لافجيعة عاطفة •

كان رحمه الله لا ينافق ولايماذق ولا يداهي ولا يداجي ، ولا يقول الا ما يصح في معتقده ، ولا يعتقد الا ما يصح في رأيه •• وهذه الصفات قد تجعل المصلح عظيما ولكنها لاتجعله زعيما •• ولا اقصد الزعامة السياسية فان السياسي في امم الشرق كان اذا تجهز لها بالضمير والمنطق والصراحة

والصدق هاجمه خصمه بالاباطيل الغاشية فيظهر عليه ، ووقف منه جمهوره على الحقيقة العارية فينفر منه .. لذلك عجز الشبيبي آخر الامر عن التوفيق بين هواه والعامة وبين خلقه والسياسة ، وبين ضميره والحكم ، فارتد الى العلم والادب يؤدي عن طريقهما واجبه ويشغل بمطالبهما وجوده وفي هذين الميدانين جاهد فأبلى ، وقاد فانتصر ، واصلح فتزعم .

رحم الله ذلك العربي الحر والوطني الصادق ، والمجاهد المخلص ، والوزير النزيه ، والعالم الحجة ، والمجمعي الباحث والشاعر المجيد والناقد البصير والاديب المطلع ، والهمنا على فقده جميل الصبر وعوضنا من بعده خير العوض .



القيت في حفـل مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي أقيم تأبيناً للشبيبي .

أبي ...

للشاعر طالب الحيدري

كان هنا

في هذه الارض

« أبي »

كأنني أراه ماثلا

يصلي

يـركع

يبني ...

يمهد الحيـاة

يزرع

يشق للاجيال

دربـاً ..

يبـدع

★ ★ ★

كان هنا ..

يفجر النور

يطـور

يكـدح

من أجل الملايين

ويسهر

يعتق آلافاً
من الأسرى
يحـــرر
يخطط الدنيـا
يغنيها
يعطر
يمجد الحياة
في الجزيرة الحبيبه
ويجعل «الواقع» كالاسطورة العجيبه
ويرسم السيرة
بعد السيرة النجيبه
عريقة
بناءة
مثيرة
خصيبه

* * *

مضى ...
ولكنني أرى وأسمع
أشياء
قد أثارها التطلع
صورها التخييل والتتبع
أرى بيوتاً
في ذراها الحكمه
أرى قباباً

تتســـامى نعمه

أرى قبوراً

في ثراها الرحمه

أرى كنوزاً

من هدى وعصمه

★ ★ ★

في هذه البطاح ..

في ترابها المعشوشب

تضوعت أرومتي

وأعرقت في (العرب)

درجتُ

ـ مـذ درجت ـ

مابين «امام» و «نبي»

حســبي

بأن يكون هذا

حسبي ونسبي

★ ★ ★

أنا ـ ک «لاشيء» ـ

دخان أمسي الملتهب

أمس أبي «الشهيد»

في «مكة» أو في «يثرب»

أمس أبي «الثائر»

في المشرق أو في المغرب

سلسلة من المعالي

ما هو قدر الذهب ؟!

★ ★ ★

في هذه الارض

أبي قد ولدا

وسار في الآفاق

عطـراً وندى

أعرق

ـ يبني شرفاً ـ

وأنجـدا

وزرع الدنيا

رياحين هدى

★ ★ ★

فلبست (بغداد)

ثوب العز

وأشرقت

قاهـــرة «المعز»

واحتضن (المغرب)

أولاد «الحسن»

وأزهرت بهم

مرابع «اليمن»

شجرة «النبوة» العتيدة

كانت

وتبقى

الآية الفريدة

★ ★ ★

وقفت في الأطلال

أطلال «أبي»

أمسح خديّ

بأزكى ترب

أسحب أذيالي

فوق الشهب

اقول للتاريخ :

سجل واكتب :

هذا «ابي»

من مثله

هذا «أبي»

بالدم قد غذى ربيع العرب

من هاشم

أكرم به وأنجب

(١) قالها وقد وقف على بقايا بيت من بيوت العلويين في مكة المكرمة سنة ١٩٦١ .

قرأنا لك

رحلة الى العتبات المقدسة

بقلم الدكتور صلاح الدين المنجد

كان عليّ ان أزور مشهد الامام الرضا عليه السلام، بعد تطوافي في مدن ايران لارى ما حفظته خزانة تلك المدينة المباركة من تراثنا العربي .

ولقد قامت مدينة « مشهد » في الشمال الشرقي من ايران ، فهي قريبة من حدود الاتحاد السوفياتي قربها من حدود افغانستان . وبين طهران ومشهد تسع مئة كيلومتر وسبع كيلو مترات ، يقطعها القطار في ثلاث ليال ، والطائرة في ثلاث ساعات . وقد كدت افضل القطار على الطائرة ، لولا طول الوقت ، فقد كنت احب ان أمر بسمنان ودامغان وشهرود ونيسابور ، وهي مدن كثيراً ما مرت اسماؤها في قراءاتي الطويلة ، وكانت من المدن التي زارها ابن عساكر مؤرخ دمشق العظيم ، لطلب الحديث . وهكذا أخذنا طائرة الشركة الايرانية لتوصلنا الى المدينة المباركة ، فأقلتنا صباح السبت ٧ مايو ١٩٦٠ في الثامنة صباحاً ، وكانت ذات محركين ، وسرعان ما شعرنا انها لا تقوى على معاكسة الرياح الشديدة الهابة من الشرق والشمال ، ولا تقوى على الارتفاع فوق الجبال الشامخة التي ينبغي ان نعلو فوقها ، في طريقنا الى خراسان . فكانت لعبة في فم الريح . تترنح يميناً وشمالا ولا ترتفع قليلا الا لتنخفض طويلا . وماكدنا نقضي نصف ساعة في الجو حتى كان المسافرون سكارى من الدوار والصداع ، ولم نصل الى مشهد ، بعد ثلاث

ساعات ونصف ساعة الا ورؤوسنا تكاد تنفجر من الصداع ، وآذاننا مسدودة عن السماع ، وأرجلنا لا تقوى على حملنا .

على أني لم أبال كثيراً بهذا العناء . كان همي ان ارى خراسان مهما كلفني الامر من جهد . هذا الاقليم العظيم الذي أثر في السياسة الاسلامية أيام العباسيين التأثير الكبير والذي خرجت منه رجال أبي مسلم الاشداء ، ليقوضوا عرش الامويين ، والذي أخرج من العلماء والمحدثين والشعراء الكثير ، فألفوا وأغنوا تراثنا العربي اعظم غناء . نعم ، كنت أحب أن أصل اليه ، وان ارى هذه القبلة التي يقصدها اليوم الآف والآف كل عام لزيارة الإمام الرضا عليه السلام .

وقلت لنفسي : كم رحل الى هذا الاقليم من قبلك علماء ومحدثون ، من كل صقع في البلاد الاسلامية المترامية الاطراف ، حتى من الاندلس قطعوا الليالي والانهار والفيافي والصحاري ، وعلوا الجبال وهبطوا الى الاودية ، ينشدون علماً ، او يطلبون سماع حديث . كم قاسوا وجهدوا ؟ كم حرموا لذات الراحة والنعمة والادمة ؟ فما عليك ان جهدت ثلاث ساعات .

ووجدنا في مطار مشهد الذي يقع في الجنوب الغربي من المدينة ، الاستاذ حسين خديوجم مندوباً عن مديرية المعارف لاستقبالنا ، فحدثني بلهجة عربية فصيحة أطربتني ، وشعرت اني لست غريب اللسان مثل ابي الطيب ، حتى في هذه البقعة النائية من ايران .

قادنا الى فندق سبيذ ، فاسترحنا واصبنا غداءنا ، حتى اذا استجمعت قواي قصدت زيارة الامام . وسار الاستاذ حسين معي . وهو شاب في مقتبل العمر ، أديب ، شاعر ، يحسن العربية . فأخذ يحدثني عن هذه المدينة بحماسة ، ورحت اصغي له .

لقد كان اسم هذه المدينة في القديم «سناباذ» وكانت قرية تابعة لطوس • وقد دفن فيها الخليفة العباسي هارون الرشيد • اثناء اجتيازه خراسان ماضيا الى ما وراء النهر • ثم دفن فيها الامام الرضا ، الامام الثامن من الائمة الاثنى عشر عليهم السلام ، دفنه الخليفة المأمون فيها الى جانب قبر أبيه • ولقد مر على هذه المدينة الكثير من المآسي • هدمها المغول وغار عليها التركمان والازابكة ، ثم عمرت لوجود قبر الامام الرضا فيها ونسي الاسم القديم وصار اسمها « مشهد » •

ولم اكد امضي في ازقة هذه المدينة القائمة في قلب خراسان والتي يبلغ سكانها ١٧٥ ألف شخص ، حتى تنسمت روائح بلدي النائي دمشق • فهذه الازقة والدكاكين والفواكه والخيرات وهذا الجو الصافي الضاحك ، كل هذا كأنه من دمشق •

واشار حسين الى قبة ذاهبة في السماء طليت بالذهب • وقال : هذه قبة الامام • وبلغنا المسجد ، ودخلنا من باب بناه شاه عباس الاول فأفضينا الى الصحن القديم ، فرأيت على يميني ايوانا شاهقاً ، مذهباً ، يغلي بالرفيف والوهجان ، تتدلى منه مقرنصات من المرايا ويقابله في الشمال ايوان آخر بناه الشاه الثاني أقل بهاء من الاول • ثم مضينا الى الحرم •

لن تستطيع ، مهما كنت عارياً من ايمان ودين ، ان تملك نفسك دهشة واعجاباً اذا دخلت الى الحرم ، لقد رأيت مئات ومئات من الرجال والنساء ، بعضهم الى جانب بعض متراصين مزدحمين ، بعضهم يطوف حول القبر ، او يتعلق به ، وبعضهم متجه اليه ، يدعو وينادي ويسأل ، وآخرون يقرأون الادعية ، او يقرأها لهم مطوفون اذا كانوا من الاميين ••• كان الحرم خلية تدوي ، وتختلط فيها الاصوات ، والدعوات ، والعبرات • وقد قام ضريح الامام يحمل اطناناً من فضة بيضاء صافية ، وركبت في الجدران مرايا صغيرة تتلاعب بالنور وانعكاسه ، وتدلت ثريات الكهرباء مختلفة

الاشكال ، واذا بك ترى النور يفيض من كل ناحية ، والاشعة تراقص فى كل زاوية ، فتزيغ الابصار ، وتدهش النفوس .

اى ايمان رأيت عند هذه الجموع العجيبة المختلفة من النساء والرجال؟.

وافسح حسين لي المجال فاقتربت من الضريح لاسلم واقرأ الفاتحة وادعو . ولما انفتلت للخروج ، حاولت ان اتبين قبر الرشيد ، فلم أجد له أثرا . فقد أخذ الضريح المغضى فسحة كبيرة ، وأصبح مكان القبر ممرا للزائرين .

* * *

زارني صبيحة اليوم التالى لوصولنا السيد فروخ من كبار وجهاء مشهد ، وشاعرها . وكان حدثني عنه صديقي العلامة فروز نفر عميد كلية المعقول والمنقول في طهران . وكان معه السيد كوثرى مدير معارف طهران ، والدكتور مجتهد زاده عميد كلية المعقول بمشهد ، وابو القاسم نويد الاستاذ بكلية الاداب فيها ، وآخرون . وكانوا يتكلمون العربية ، ويودون سماعها مني،واحسست بشوقهم الشديد لهذه اللغة ، التى لم تستطع الفارسية . وهي اللغة القومية من محوها ، وما ذلك الا لانها لغة القرآن .

واعلمني السيد فروخ ان نائب التولية ــ اى متولى اوقاف الامام الرضا ، وهو ينوب فى ادارة الوقف عن جلالة الشاه ــ يدعونى الى حضور حفلة عيد ميلاد الامام الذى يصادف اليوم . ولم اتردد في القبول ، فهذه فرصة لا تتاح لى كل يوم . وقد عدوا من توفيقي ويمن طالعى ، ان ازور هذه المدينة هذا اليوم . فمضيت معه ظهراً الى مبنى جانب المشهد يقيم فيه نائب التولية . فرحب بي واعلمنى انه تلقى رسالة من اخيه وزير المعارف الدكتور مهران ، يرجوه فيها ان ييسر كل ما اطلبه . وكان المكان غاصاً بالناس . واصعدنا الى طبقة عليا ، وكان اناس يلبسون السواد الرسمي يستقبلون الناس . ثم دخل شاب حلو الوجه ، انيق الملبس في العشرين او نزيد ، فعلمني فروخ انه حميد رضا أخو جلالة الشاه ، ارسله الشاه

لينوب عنه ، ووراءه حاكم خراسان ، ونائب التولية ، وغيرهم • وكانت الشموع تشتعل في اطراف الصالة وحناياها ، والبخور يحترق ، فيعبق الجو بعطره الحاد •

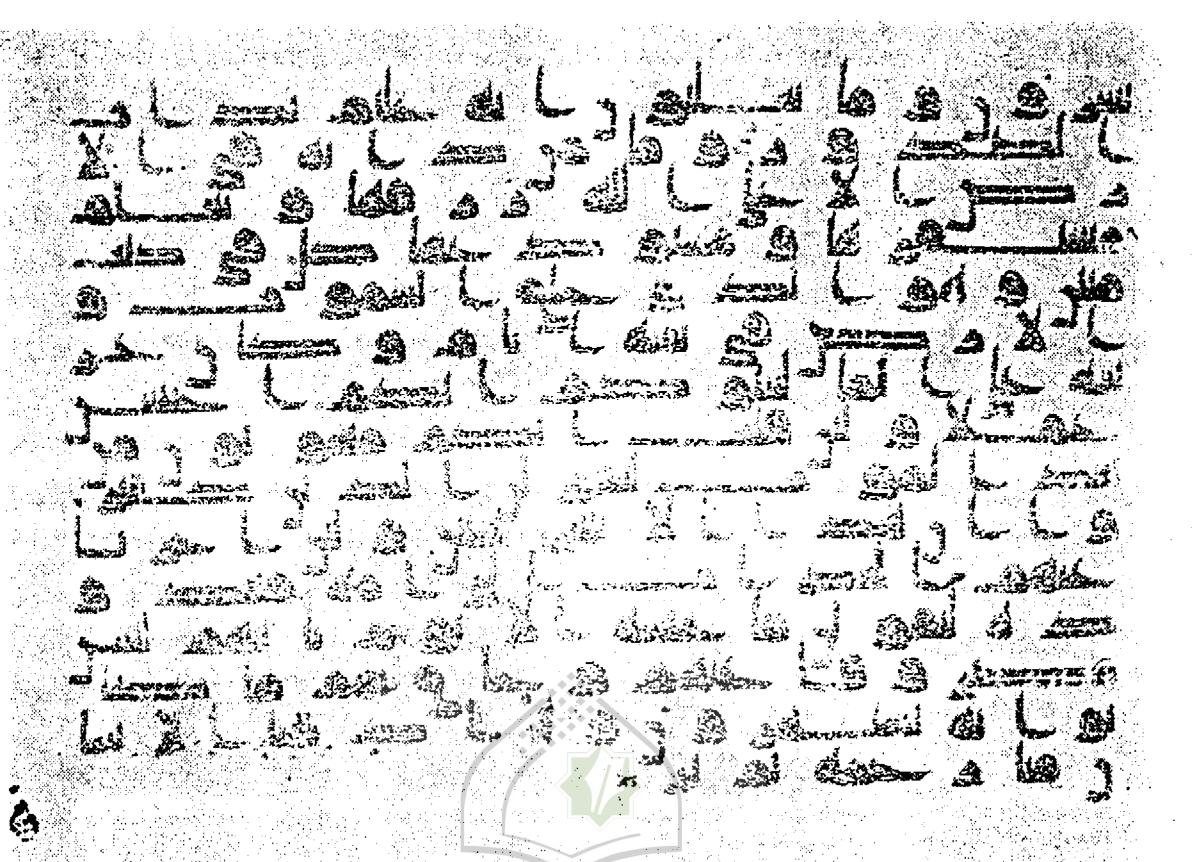
بدأت الحفلة بآيات من القرآن الكريم ، وكان القارىء لايجيد العربية ، لكنه كان يجهد في اخراج الحروف من مخارجها لتكون عربية • وسرني هذا الجهد • ثم القي دعاء بديء بالعربية وانهى بالفارسية ،ثم القى شاعران ، الاول جاء من طهران ، والثاني من مشهد ، قصيدتين في مدح الامام بالفارسية ،ثم القى شيخ خطابا بالفارسية عن حياة الامام ومآثره ومماته• وانتهت الحفلة • فقمنا • فكان يعطى كل خارج شيئاً من سكر النبات ، وديناراً مطلياً بالذهب ، على وجهه الاول صورة ضريح الامام ، وعلى الثاني كتابة فيها انه ضرب في عهد محمد رضا شاه بهلوى شاهنشاه ايران ، ذكرى ميلاد الامام على بن موسى الرضا ، في عام ١٣٣٩ شمسي •

واعلمني السيد فرخ انهم كانوا يوزعون من قبل الدينار كله ذهب• وما زال الدينار عندي احتفظ به •

ثم دعينا الى طعام أعده نائب التولية • وقد مدت السماطات على الارض ، فجلست على ركبتي آكل بيدي ، مآكل ايرانية مختلفة ، لم يكن لي بها عهد من قبل •

★ ★ ★

في اليوم الثالث من زيارتنا مشهد ، قصدنا مكتبة قدس رضوي • فتلقاني مديرها الامير عبدعلي اوكتائي ، وهو شيخ جاوز الستين، ومساعده العالم مهدي ولائي، بالترحاب والتكريم • وكان السيد مهران نائب التولية قد أمر ان اطلع على ما في الخزانة كلها • وقد حدثني ولائي ، وهو يجيد العربية ، عن المكتبة وما فيها • وكنت فرحا ان ازورها ، لانها تعد من أعظم مكتبات ايران • وقد خلع عليها الشعور الديني صفة القداسة ، فجعل



المؤمنين يرسلون اليها او يقفون عليها نوادر ما عندهم من كتب قيمة او مصاحف ثمينة او تحف غالية . واستولى علي شعور حلو عميق ، كان ينتابني كلما زرت مكتبة لم يعرف بعد ما فيها ، وقلت لا بد اني سأكتشف فيها شيئا جديدا من تراثنا .

وفتحت لي الابواب ، وقال الامير او كتائبي : اطلب ما شئت نحضره اليك ، وصور ما تراه جديرا بالتصوير .

لم يكن في المكتبة فهارس مطبوعة كاملة ، رغم انها تضم ثمانية آلاف مخطوط او تزيد،عربي وفارسي وتركي،هذا عدا المصاحف المخطوطة المذهبة والمنسوبة القديمة والحديثة ، التي يبلغ عددها اكثر من اربعة آلاف . ولقد صدر من فهارس المكتبة مجلدان ، ليس فيهما عشر ما في المكتبة ، وكان علي أن أنظر وابحث لأرى التسعة الاعشار الاخرى .

ودخلت المستودع وبدأت اقلب المخطوطات نفسها ، ولم أحس بيسر في عملي كما احسست في هذه المكتبة ، كأن المخطوط النادر كان يناديني نتقع يدي عليه دون عناء ، وهكذا كنت في فرح متواصل ، فرح الكشف عن الجديد ، الذي لم يعرفه علماء العالم بعد ، والذى سأخبرهم انا عنه .

وقال لي شيخ رآني هناك في المكتبة ، انت موفق ، هذه بركات سيدنا الامام الرضا شملتك ..

لقد صدق ، لقد شملتني ، وكشفت في هذه المكتبة مالم أره في أي مكتبة في العالم .

ولن احدثك عن كل ما رأيته ، ولكني سأذكر كتابين كانا أحسن ما وقعت عليهما عيني .

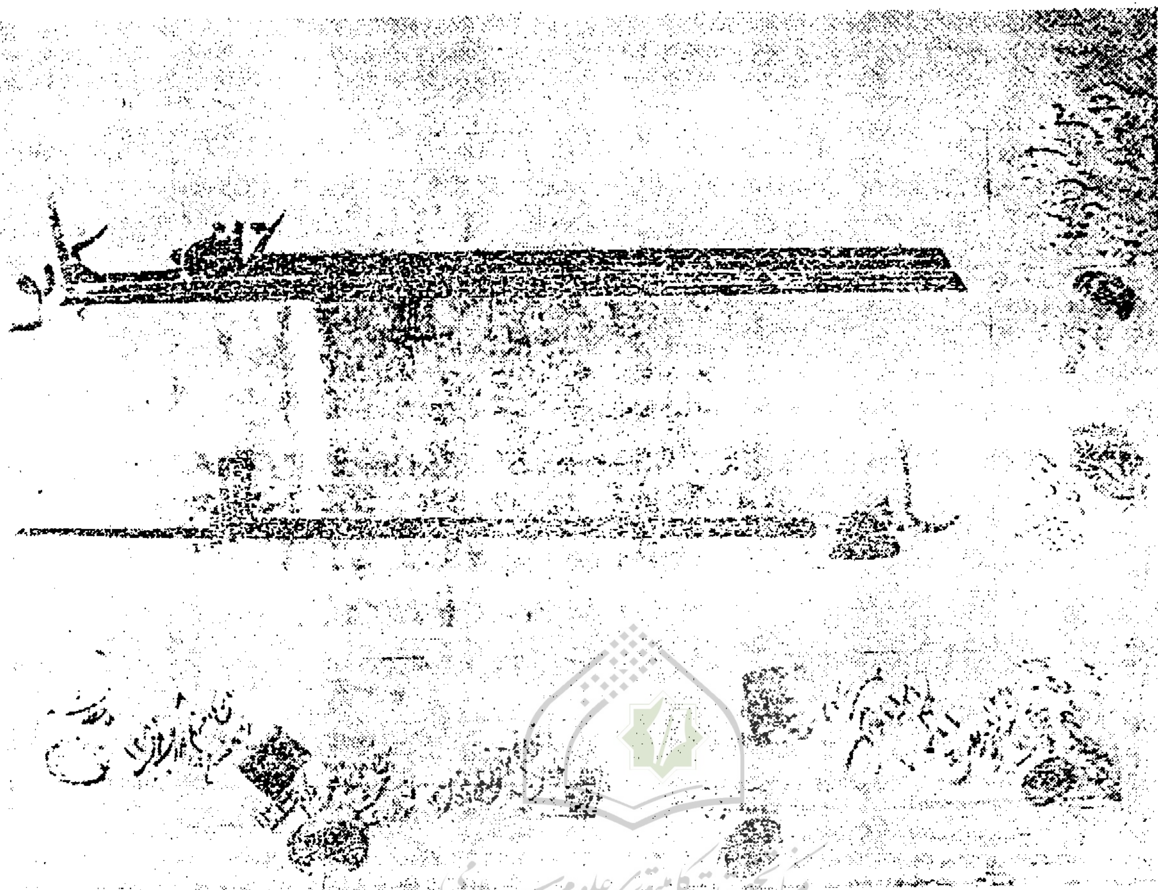
فقد رأيت نسخة من كتاب ديسقوريدس في الادوية المفردة ، لم يكتب عنها أحد من العلماء . وقيمة هذه المخطوطة انها تبلغ الغاية القصوى من الناحية الفنية ، أما من الناحية العلمية فشأنها غير قليل .

كان ديسقوريدس طبيبا يونانيا من عين زربي ، كان يطوف في البلاد، ويجمع الاعشاب ويصفها ، ويجرب خواصها الطبية . وظل كتابه مرجعا للاطباء طوال القرون الوسطى . وقد ترجم الى العربية في أيام المأمون ، اذ ترجمه اصطفن بن باسيل ، واصلح له الترجمة حنين بن اسحاق . لكن هذا الاصلاح وتلك الترجمة لم يستطيعا جعل الكتاب في لغته عربيا صافيا. واشتهرت هذه الترجمة في المشرق ، وانتقلت الى الاندلس التي ظهرت فيها ترجمة ثانية له . حتى اذا كان القرن السابع الهجري قرأ الترجمة المشرقية أحد ملوك الارتقيين في ديار بكر فلم تعجبه ، فأمر مهران بن منصور أن يترجم الكتاب ترجمة جديدة عن السريانية فجاءت الترجمة أصح وادق وافصح .

هذه الترجمة الجديدة لهذا الكتاب لم يعرفها باحث ولم يكتب عنها أحد . وقد هيأت لنا الان نصا جديدا صحيحا ، ليس فيه عجمة المترجمين العباسيين . على أن الذي يدهشك في هذه المخطوطة هو تزويقها وتلوينها . فلقد صورت فيها آلاف من الحشائش والاعشاب الطبية بألوانها الطبيعية ، فاذا دققت رأيت الوانا أخاذة ناطقة حية رفافة ، كأنما فرغ المزوق من تصويرها اليوم . وقد كتبت بخط نسخي جميل على ورق حريري من القطع المصاحفي الكبير . انها تحفة فنية رائعة لا تقدر بثمن ، ولقد رأيت مخطوطات هذا الكتاب في استانبول ، لكنها كلها لا تسمو ابدا الى منزلة مخطوطة مشهد .

وثمة كتاب اخر ابهجني اكتشافه هو مختصر كتاب العين للخطيب الاسكافى . وكتاب العين اول ما أُلف من المعاجم فى لغتنا ، الفه الخليل بن أحمد ولم يتمه ، فأخرجه تلاميذه . وهو اصل من الاصول . لكنه لم يصل الينا منه نسخ قديمة موثوقة . ولقد عرفنا مختصره الذى وضعه الزبيدى الاندلسى . ورأيت منه نسخا شتى فى تونس ومدريد والمغرب ، اما من مختصرات المشارقة فلم يصل الينا شيء . فلما رأيت مختصر الاسكافى فرحت ، وزاد فرحى عندما رأيت ان النسخة كتبت سنة ٣٨٣هـ اى قبل الف سنة ، فى حياة الخطيب الاسكافى نفسه . لان الاسكافى توفى سنة ٤٢٠هـ . واذا عرفنا ان الخطيب هذا كان كاتبا شاعرا لغويا ، وانه شرح شواهد كتاب سيبويه ، عرفنا قيمة هذه المخطوطة اليتيمة فى العالم .

اننا كلما زاد اكتشاف تراثنا الذى الف فى القرون الثلاثة الاولى ، استطعنا أن نعرف الاسس الأصيلة لثقافتنا وحضارتنا . وكل مخطوط من تلك القرون هو لبنة في ذلك الاساس . وعلى مجامعنا العلمية فى القاهرة ودمشق وبغداد الان ان تنشر مختصر العين هذا . فمثل هذا الكتاب مفخرة لمن ينشره .



ولن اختم حديثي قبل ان اذكر بعض المصاحف التى تزهى هـــذه المكتبة بها • فقد ذكرت لك ان فيها قرابة اربعة الاف مصحف ، وبعض هذه المصاحف كتبه أئمة ال البيت • وقد اعددت دراسة مفصلة عنها ، ومن هذه المصاحف ما هو مكتوب بخط الامام علي ، والحسن والحسين ، وزيـــن العابدين والرضا سلام الله عليهم • على كل أعتقد ، اننى بعد ان طوفـــت معظم انحاء العالم فى البحث عن تراثنا العربى ، لم أر فى مكتبة من المكتبات ما رأيته هنا من الوان المصاحف والخطوط والتزويقات • ان هذه المصاحف وحدها يوءلف عنها مجلدات ، فما بالك بالآلاف من المخطوطات الجيدة التى جمعتها هذه المكتبة بسر الامام عليه السلام [١] •

---

(١) مقتبس بتلخيص عن مجلة الفكر العربى اللبنانية العدد الثانى ـ السنة الاولى ص ١٠ ـ ١٥ •

نقد الكتب

الدكتور علي الوردي وكتابه الجديد

- دراسة في طبيعة المجتمع العراقي -

للاستاذ عباس علي

أتحف الدكتور على الوردى المكتبة العربية - ولاريب - خلال الخمسة عشر عاما المنصرمة بانتاج ثقافى ، مهما اختلف النقاد فى قيمته ، فهو على كل حال يتحمل مسؤولية الريادة فى حقل له أهميته ، من حقول المعرفة القائمة اليوم على قواعد العلم والتجربة والتمحيص .

ولقد قوبلت مؤلفاته طيلة سنى هذه المسيرة بما لم تقابل به مؤلفات اخرى ... واجهتها مشاعر كانت تطغى عليها فى الغالب روح النقمة والسخط ، والنقد الجارح ، وعاد الدكتور الوردى فى هذه الوصلة من الزمن هدفا مباشرا لحملات عدد كبير من حملة الاقلام ، ان اختلفوا فى مستوياتهم الثقافية ، ومراكزهم الاجتماعية وانطباعاتهم ، فقد اتفقوا على ان ما يحمله اليهم الاستاذ الدكتور من تفسيرات لبعض الظواهر الاجتماعية السائدة ، تحتجن فى طياتها سما زعفا .

والمعروف ان الدكتور الوردى لم يكن برما ولا متضايقا مما قيل فيه. وبعضه كان أشنع مما قاله مالك فى الخمر ، ومما يثير الدهشة فى هذا الباب .. ان الذين تصدوا لاراء الدكتور لم يتفقوا - على كثرتهم - فى تعيين تفسير قاطع لهذا الضرب من السلوك قال بعضهم ان الرجل يموت فى الشهرة (١) ، وهذا مما يهون عليه تلقى السهام من كل جانب ومكان ..

وقال آخر : ان غرامه بالمال يحجب عن عينيه مظاهر التذمر التى تسود أوساط الناس فى اعقاب نشر كل كتاب جديد له •

وقال ثالث : ان الرجل ديمقراطى يؤمن بحرية القول •

وهكـــذا •••

★ ★ ★

وحين بدا لى ان اكتب شيئاً عن بحثه الاخير [دراســة فى طبيعــة المجتمع العراقى] بعد فراغى من قراءته ، لم أجد فى ذهنى ما يعطل هـذا القصد ، من تهيب أو وجل أو ما شابه ، وسبب ذلـك لا يعـود الى ما بينى وبين المؤلف المحترم من معرفة ، وانى فوق ذلك اكن احتراما بالغاً لفضله وتواضعه وعراقة محتده وانما لكون تلك الدراسات التى نهض بها قلمه ، بعيدة فى لغتها واسلوبها ومادتها ومداركها عن التعقيد والعمق ، أضف الى ذلك انها تتناول مواضيع متقاربة الابعاد ، وهذا بمجموعه مما يعين الفكر على اعطاء سمات موضوعية لافكار الدكتور بسهولة •

ان وفرة الاطلاع على كتابات الدكتور الوردى ، ومعاناتها كما قلنـا لقضايا محدودة ، تفتح للمعقب مجال التركيز على نقاط لاتتعداها شخصيته ، ومن أجل الالمام الواعى بما ورد فى مؤلفه الاخير لا اجد خروجا عن الصدد حين اسجل هنا ، وقبيل ان أتعرض للموضوع الرئيس ، أبرز انطباعاتى عن الاستاذ المؤلف مستمداً ذلك بالطبع من سلسلة بحوثه •

١ ـ الدكتور الوردى كاتب مقروء، يقبل عليه القارىء بشىء من الشغف ، ولو بدا لنا ان نمعن النظر مليا فى هذه القضية بالذات ، لوجدنـا ان الاقبال ليس مرده جودة أصيلة فى الانتاج ، وانما السر يكمن فى حذاقة المؤلف المتناهية وقدرته على اشاعة جو من السلاسة فى طبيعة حديثه •

ان الدكتور الوردى يملك فوق اختصاصه بفرعه (علم الاجتماع) ، اختصاصا من نوع آخر ، يمنحه قدرة (الانتقاء) ••• فى وسعه ان ينتقى القضية الحادة من قضايانا الدينية او الاجتماعيـة ، •• الكلمـة التى تثير ،

العبارة التى تزلزل ، فيضعها بمهارة فى محلها •• بين الادغال • الدكتور الوردى ينتقى الظرف المناسب لظهور الكتاب ، الساعة الطيبة ••• اللحظة المباركـــة •

٢ ـ الدكتور الوردى كاتب تنقصه الجرأة : من السهل على الدكتور الوردى ان يرفع قضية مهمة الى طاولة التشريح •• وهناك على الطاولة ، بدلا من أن يكون المبضع الحاد ، والرأى العلمي المجرد ، والاحساس الايجابى بالمسؤولية ، هى المحفزات الحقيقية للموضوع ، نجده مع الاسف يلف ويدور ، دون أن تسعفه جرأته كمنكر اجتماعى كبير الى سبر الاغوار بموضوعية مدركة ، للوقوف على التشخيص الطبيعى للعلة •

ان الاستناد على مبضع من خشب ، وعلى حفنة من الملح وقصص المقاهى ، من اجل ارضاء كافة الميول ، والعواطف ، والاطراف وعلى طريقة (اكسر واجبر) •• هذه الاعتبارات لا تخدم المنهج الاكاديمى فى البحث ، ولا تخدمه هو ككاتب اجتماعى ممتاز •

انها تشجع التفسيرات الاعتباطية ولاشك ، لتكون ادوات بلبلة للرأى العام ، بالاضافة الى مجافاتها لروح الصراحة التى ينبغى ان تكون مدار اهتمام الباحثين ، لا سيما أصحاب المدارس ، والدكتور الوردى اليوم صاحب مدرسة فى حقل اختصاصه • فى بلادنا على الاقل •

٣ ـ الدكتور الوردى ليس كاتباً عميقا : وهذه ظاهرة قد لا تخفى على احد ، يعيش دقائقها بمرارة كل متعطش الى المزيد من المعرفة لا سيما فى الحقول التى نحن بامس الحاجة فيها الى من يضيء لنا السراج ، ويردم الخندق •

بعد هذا •••

نحن الان بين يدى كتاب (دراسة فى طبيعة المجتمع العراقى) وهو محاولة ـ كما يقول المؤلف ـ تمهيدية لدراسة المجتمع العربى الاكبر فى ضوء

علم الاجتماع الحديث .

والكتاب بصورة عامة خير ما كتبه الدكتور الوردى ، وأوضح مؤلفاته فى عكس آرائه ومعالجاته ومراميه ، ومع ذلك فهو طبعة موسعة لدراسات سبق له ان غازلها فى بحوثه التى سبقت هذا الكتاب .

ان من يضع امامه مؤلفات الاستاذ الدكتور ، ويقرأ مؤلفه الاخير سيجد بيسر ان المواضيع متشابهة ، والاراء لم يعتورها نقص ، والمراجع ما زالت هى نفس المراجع ، والقاسم المشترك الاعظم فى هذه المسألة هو سرعة الانتقال بين قضية وقضية فى غير ما رابط يربطهما أو جامع يجمعهما .

ولكى يسد الدكتور الوردى الطريق على من يحاول محاسبته فى يوم من الايام على مجموعة التناقضات التى ربما تعترض سبيل القارىء المدرك ، وضع لنفسه ما يحميه ـ أو هكذا يبدو له ـ فأعد له فى المقدمة ما يضمن هذا الرأى .

اسمعه يقول (٢) :

[قصدى من ذكر هذه البحوث السابقة هو لفت نظر القارىء الى ان الآراء التى وردت فيها لم تكن نهائية ، فقد غيرت البعض منها ، وأبقيت البعض الآخر على حاله ، وهذا أمر لا اعتذر عنه . فالبحث العلمى من شأنه التغيير والتطوير ، اذ هو يسير فى ذلك تبعاً لتغير المعلومات التى يعثر عليها الباحث مرة بعد مرة ، ولهذا ارجو من القارىء ان لا يستغرب حين يجدنى اقول فى هذا الكتاب برأى مخالف لما جاء فى بحوثى السابقة .

الواقع انى ، خلال دراستى الطويلة للمجتمع العراقى ، قد ناقضت نفسى كثيرا وربما أخذت اليوم برأى ، وتركته غدا ، ثم رجعت اليه بعد غد] .

والواقع انى لم أقرأ فى حياتى كهذا الذى جاء به الدكتور الوردى ،

لا من أديب ولا من مؤرخ ولا من عالم .

صحيح ان علم الاجتماع كسائر العلوم الاخرى خضعت نظرياته بمرور الزمن للكثير من عوامل التطور والتغيير ، وانه لم تكتمل معالمه بعد ، وهو ما يزال متأثراً في بعض اصوله واسسه ، بالمحيط الاجتماعي الذي نشأ فيه ، وقد يصح القول بان علم الاجتماع لم يبلغ بعد مستوى العلوم الاخرى التي نمت منذ زمن طويل فأصبحت تستند في مفاهيمها على اسس عامة تصلح للتطبيق في كل زمان ومكان (٣) .

وصحيح ان الاعتراف بالخطأ ظاهرة ممدوحة في شرعة العلم .

ولكن اقوال الدكتور الوردي الانفة الذكر تشكل تجاوزاً بعيد المدى في مجال الدراسات العلمية .

ومعنى ذلك .. ان المجال مفتوح امام الدكتور الوردي ، ليضع على هواه دراساته وخططه ومفاهيمه ما دام علم الاجتماع ، ما زال جنيناً ، او وليداً يحبو ، أو صبياً يتشقلب على الحيطان ... لا ادري !!

وشيء آخر في المقدمة ..

يعتمد الاستاذ الدكتور في اعداد هذا الكتاب العلمي !! على مراجع اما ان تكون قديمة مغرقة في القدم كالرسالتين العلميتين اللتين نال بهما كل من الدكتورين فاضل الجمالي ومتي عقراوي شهادتي الدكتوراه ، أو جديدة فجة كتقارير طلابه .

ان الدراسة التي قام بها كل من الدكتورين الفاضلين في مجال اختصاصهما تمت والعراق في متاهة لا اول لها ولا آخر ، وناهيك عما أصاب العراق خلال الاربعين عاماً الماضية من تطور وتغيير ، فالركون الى معلومات عمرها نصف قرن شيء لا يستساغ ابداً .

وكذلك .. ان التقارير الطلابية لا تنعدم فيها اللمحات الطرية الواعية

ولكن اصطناع المرجعية لانهم ـ أى الطلاب ـ يأتون الى الجامعة من شتى انحاء العراق القريبة والبعيدة ، فأمر لا أعتقد انه يفضى الى تحقيق مبدأ التركيز والاصالة فى بحث يأتى بعد سبعة مؤلفات تنحو كلها الى دراسة المجتمع العراقى .

ان مباشرة مراجع على هذا المستوى تضعف مكانة البحث وتنزع عنه صفة الاصالة سواء شاء المؤلف المحترم أم أبى .

الفصل الاول : صراع بين البداوة والحضارة .

فصل ممتع ، يتناول فيه الدكتور الوردى طرفاً من قصة الصراع بين البداوة والحضارة فى العراق بوجه خاص على نحو من السرد العلمى البعيد عن السطحية ، وان مازجه الاختصار فى كل مراحله ، والنقطة الشائعة فى بحوث الدكتور الوردى انه يعتمد كثيراً على ابن خلدون وعلى نظرياته الاجتماعية ، ودونك مؤلفاته ... لايخلو منها كتاب دون المرور بابن خلدون من قريب أو بعيد . يقول الدكتور الوردى فى معرض الحديث عن اهمية ابن خلدون فى الصفحة ٢١ من الفصل الاول ما نصه :

امتاز ابن خلدون بميزتين لم يماثله فيهما أحد من الباحثين الاجتماعيين فى جميع الامم . اولاهما انه كان اول باحث فى العالم درس المجتمع دراسة واقعية غير « وعظية » . وهو فى ذلك سبق زمانه بخمسة قرون تقريبا . والميزة الثانية انه كان ـ ولا يزال ـ اعظم من درس المجتمع العربى على اساس من طبيعة تكوينه الخاص ، أى على اساس ما جرى فيه من صراع بين البداوة والحضارة .

بعد صفحتين من هذا الاطراء نجد الدكتور الوردى يصف ابن خلدون بقوله .. [ولا ننسى ان ابن خلدون كان فى سيرته الشخصية انتهازيا فظيعا ، يود التقرب من الملوك ، وقد يقلب فى سبيلهم الحق باطلا] .

رجل هذه صفاته ، وهذه نفسيته ، وهذه اخلاقه ، كيف اتخذته مرجعا مهما من مراجع دراساتك ، وبنيت على اقواله « الانتهازية » جملة من فتوحاتك فى دنيا علم الاجتماع .

والذي لاريب فيه ان ابن خلدون كان صنيعة تافهة بأيدي الطغاة من نمط تيمورلنك ومن على شاكلته .

ولهذا فان الاعتماد على ما كتب ، لا يعنى شيئاً بقدر ما يعنى التغافل عن حقيقة صارخة لا مجال لايجاد اية مبررات لها .

الفصل الثانى : ماهى البداوة .

يستعرض الدكتور الوردي فى هذا الفصل باختصار مفاهيم عديدة من اجل التوصل الى فهم ما هية البداوة وعن طابع الثقافة البدوية .

وأجزل ما فى هذا الفصل تلك المقارنة التى عقدها بين بدو العرب وبدو المغول ، وما تبع خروجهما من احداث ومضاعفات على ضوء سلوكهما فى الفتوحات التى قاما بها .

الفصل الثالث : البداوة ونزعة الحرب .

يشرح الدكتور فى هذا الفصل مسألة الغزو عند البدو ، ويؤكد مقولة القائلين ان الغزو ينفع البدو فى حياتهم الصحراوية اذ ان القتال الذي يجرى فيه يقلل من عدد الافواه الآكلة ، ومن هؤلاء المؤرخ الاستاذ فيليب حتى . ثم بعد ذلك يطوف المؤلف على قضايا تتصل بهذا الجانب من حياة البداوة ، فيتحدث عن العصبية القبلية ، وعن أهمية النسب فى البداوة ، وعن دور المرأة فى البداوة .

وبالرغم من ضحالة المعلومات التى أوردها ، وكان فى وسعه ان يأتى بتفصيلات أكثر فائدة وأغزر مادة لو تصدى للتنقيب والتحقيق ، فان البحث بمجموعه لا يخلو من أهمية .

ان الانصات الى بضعة مراجع ، وتلقف المعلومات من أفواه لم تر الصحراء ولا خالطت البدو الا لمما ، ربما تبعث الهزال في الدراسة .

كان المفروض ـ ان صحت عزيمة الدكتور الوردي في دراسة هذا الموضوع دراسة مدعمة وغنية ـ أن يدلف هو الى الصحراء بنفسه ، يشق عبابها بحيزوم طموحه ، وينشد أهلها بدافع من اخلاصه لفكره وروحه .

أما الجلوس في الثوى المبرد، والاتكاء على معلومات نفر من الاساتذة وان كانوا بمستوى العلامة حتى ، فهذا سبيل العاجز ، لا سبيل العالم المثابر .

ومن هذا بالضبط ، تواجهك في هذا الكتاب ثغرات واسعة كان من اليسير سدها ، لو بذل الدكتور الاستاذ من أجلها شيئاً من راحته .

ولهذا السبب ايضا ـ على ما يبدو ـ يميل الدكتور الى التكرار ، والى معاودة الحديث في قضايا سبق له ان باشرها . ومسألة معروفة ، ان أية معلومات محدودة ، تتكأكأ في ذهن ، لا بد لها ان تنحدر الى الورق ، مع كل حديث .

الفصل الرابع : أعماق الثقافة البدوية .

يقول الدكتور الوردي في نهاية هذا الفصل ما نصه : [لست أدعي ان هذا البحث الذي قمت به حول البداوة كان بحثا علميا . والجدير بي أن أسميه محاولة علمية ، والرجاء من زملائي الباحثين ان يعينوني فيه ، ويكشفوا عن أوجه الخطأ والصواب منه .

والواقع انه أوسع وأعمق من أن يقوم به شخص واحد ، ولا بد للباحثين من ان يتعاونوا عليه ، كل بمقدار جهده وموضوع اختصاصه] .

أعتقد ان وراء هذا الاعتراف تختفي حقيقة ناصعة ، لأن الدكتور يعلم قبل غيره ، كيف ان التشريق والتغريب لا يسميان اذا ـ جد الجد ـ بحثا علميا .

ثم ، وليسمح لي استاذي الكبير أن أقول ان الثقافة البدوية ليست موضوعا شائكا الى الحد الذي يستأهل ان يسوق الدكتور من أجله هذا النداء الحار الى زملائه الباحثين • كما ليست هذه مني محاولة للتقليل من أهمية الدراسة لهذا الجانب من حياتنا الاجتماعية •

وكل ما في الامر اني أدعو الدكتور الوردي ـ اذا جاز لي ذلك ـ ان يغير من طريقته التي درج عليها في دراساته •• طريقة الكسل ، والاكتفاء بما تحت يديه من مراجع ثانوية •

اريد منه أن يصنع ما دأب على صنعه العلماء •• في كل الفروع يسعون الى الصحراء •• الى المختبر •• الى الغابة لتأتي الثمرة •• يانعة •• طرية ••• غنية بما يشبع •

الفصل الخامس : العراق فى العهد العثمانى •

بحث بسيط عن حالة العراق في العهد العثماني ، وما قاساه هذا البلد على أيدي الولاة من مصائب ومآس تقشعر من هولها الابدان •

وليس ثمة من شك ان دراسة أحوال العراق في الوقت الحاضر تتوقف بالدرجة الاولى على طبيعة حياته يوم كان بقرة حلوبا يدر ضرعها للشارد والوارد أيام حكم آل عثمان •

وهذا هو الذي عناه الدكتور الوردى بقوله : [وفى رأيى اننا لانستطيع أن نفهم المجتمع العراقي في وضعه الراهن ما لم نرجع بدراستنا الى الوضع الذى كان عليه هذا المجتمع فى العهد العثمانى]•

وعلى كل •••

فان المعلومات الواردة في هذا الفصل أجدها مع الاسف مبتسرة ، وجود لاتسوده المسحة العلمية ، وكل ما يمكن ان يقال فيه انه يصلح كمقال فى مجلة سيارة لابحث فى دراسة يضع هيكلها أستاذ كبير •

الفصل السادس : الصراع الثقافي في العراق

لوكتب لك أن تقرأ هذا الفصل من ألفه الى يائه ، ثم تعود الى العنوان تسأله هل من تطابق بينك وبين مادة البحث ؟ لاجابك قطعا بالنفي • كان الأولى بالدكتور الوردي ان يستبدل الصراع الثقافي في العراق ، الى الصراع الاجتماعي في العراق ، لاننا حتى في حالة اخذنا بوجهة نظره في تفسير الثقافة الاجتماعية ، وانها مجموعة التقاليد والقواعد والافكار الموجودة في أية امة من الامم • وهي تشمل مختلف شؤون الحياة فيها ، كالشؤن الدينية والاخلاقية والقانونية والفنية والصناعية واللغوية والخرافية وغيرها(٤) أقول •• مع ذلك فسيظل هناك فراغ هائل بين العنوان والحديث والحق ان في هذا الفصل ومضات رائعة ينقلك الدكتور الوردي على جناحها الى اجواء من بلدك ، تشيع في نفسك روح الفكاهة والمرح •

الفصل السابع : الحرب الدائمة في العراق

سجل الدكتور في هذا الفصل نماذج من التقاتل العشائري في العراق ، وطرفا من النزاع بين جملة من مدنه ودساكره ، وختمه بقصة العداء بين الكاظمية والنجف •

ان القاريء ليحس بعد ان يفرغ من استيعاب قصة العداء بقلم الدكتور الوردي ، ويتصور ان المسألة قائمة على قدم وساق ، وان القضية من التوتر الى الحد الذى يخشى منه الانفجار المفاجيء ، مع العلم ان جيلنا ان يع من تطوراتها شيئا فهو لا يخرج عن كونه لمحة من قصص الجدات •

اما مسألة الصلح ، والشيخ حسن السهيل ، وأباريق القهوة فكلها كانت لحساب احياء (زعامة) في البلد ، ولا اظنها تخفى على الاستاذ الدكتور •

ان تكبير بعض القضايا ونفخها ، لاسيما اذا كانت مشابهة لمسألة العداء

بين الكاظمية والنجف ، فيه من الخطورة ما نعوذ بالله منه . فحذار ثم حذار ...

الفصل الثامن : تكوين الشخصية البدوية

تحدث فيه الاستاذ المؤلف عن القبائل البدوية وكيف عند مجيئها الى العراق تقع تحت وطأة ظروف قاسية لم يكن لها عهد بها من قبل في حياتها الصحراوية القديمة ، وكيف تبدأ في معاناة ضغوط نفسية واجتماعية تجعلها غير قادرة على الاستمرار في التمسك بالقيم البدوية الاصيلة ، قليلا او كثيرا ..

وكعادة الدكتور .. لم يدع لهذا الحديث أن تمر رياحه ساكنة ، ففي معرض شرحه للاضرار الصحية الناتجة عن انتشار عادتي التغوط والتبول في مجاري الانهار ، وعلى الارض ، ترك كل امر وكل مكان يمكن ان يستشهد به على صحة قوله ، وذهب بسرعة صاروخ الى اين ؟ ..

اسمعه :ـ

[من يريد ان يعرف مبلغ انتشار هذه العادة في العراق ، فليذهب الى مدينة كربلاء أثناء زيارة (الأربعين) ، حيث يجتمع فيها نصف مليون او اكثر من أهل الريف والمدن ، ليرى بأم عينه ما يحدث في الازقة وعلى ضفاف نهر الحسينية من اعاجيب] .

ولا أجدني في حاجة الى التعليق بعد هذا الاختيار الفذ !!

الفصل التاسع : مظاهر التدين في العراق .

انه من أهم فصول الكتاب ان لم يكن اهمها اطلاقا ، وتتلاقى أهميته بابراز صفة ـ أكبر واجبر ـ على أحسن وجه ، فالدكتور الوردي حين ينطق بحقيقة في مكان ما من بحثه ، يحسب لوقعها في كل الاطراف الف حساب وحساب ، فلا بد من ايجاد التعادل ، وعندئذ تلقاه يبحث .. هنا

وهناك عن غمزه .. عن حادثة عابرة سمعها ، عن زيارة الاربعين ونهـر الحسينية .. لابد من شيىء يرضى الجالس فى الطرف الثانى من الشارع .

همسة من مقدمة ابن خلدون فى التشابه الموجود بين عقائد الشيعة وعقائد المتصوفة ، كلمة من السيد هبة الدين الشهرستانى ، الى غير ذلك مما لايحسن تكراره .

وأدهى الدواهى فى هذا المجرى ، استنتاجاته الفريدة عن وسائل الدعاية الشيعية .

يقول الدكتور الوردى :

للشيعة طقوس دينية يتميزون بها ، وهذه الطقوس كانت فى الماضى من أعظم وسائل الدعاية تأثيراً فى النفوس ،نذكر فيمايلى أهمها : ـ

١ ـ زيارة المراقد المقدسة :

فقد بذل الشيعة أموالا طائلة فى تشييد مراقد أئمتهم ، فطلوا منائرها بالذهب (الوهاج) وزخرفوا داخلها زخرفة جميلة جدا يندر ان نجد لها مثيلا فى جميع أنحاء العالم ، وهذه كانت ذات أثر بليغ فى جذب الناس الى التشيع . الخ ....

٢ ـ المواكب الحسينية : ويصفها .

٣ ـ مجالس التعزية .

أعتقد ان الدكتور الوردى ليس ساذجا الى الحد الذى لايدرى فيه متى بذل الشيعة أموالا طائلة فى تشييد مراقد أئمتهم وطليها بالذهب (الوهاج) ، ولا متى ظهرت الى الوجود المواكب الحسينية بطبولها واعلامها ومواكب التطبير والسلاسل فيها .

الدكتور الوردى يعرف جيدا ان التشيع ليس هذه المسائل ، ولايمكن لهذه الوسائل ان تجذب انسانا واحداً الى حضيرته ، ولا اظنه يجهل دور

التشيع فى مراحل التاريخ ، يوم لم يكن هناك قباب ، ولاذهب ، ولا مواكب.

ثم فى الواقع ، لاخير فى انسان تأخذه البهرجة فينساق الايمان الى قلبه .. ان ايمانا كهذا ، يشبه الى حد بعيد فقاعات الصابون ، رجة بسيطة ، .. تقذف به بعيدا .. بعيدا عن معتنقه . ان السلسلة الطويلة من الشهداء والصابرين الذين صمدوا فى وجه الطغيان ـ يادكتور ـ ذلك الصمود الجبار .

خذها من حجر بن عدى الكندى الى أن تصل الى الشهيد الثانى هؤلاء هم الدعاة للفكر الامامى ، لاخزعبلات العامة ولاتفسيراتك انت .

ثم من قال لك ان هذه الوسائل كلها ـ دون تبعيض ـ مستهجنة فى نظر المتعلمين من الشيعة .

مجالس التعزية مثلا ، هذه المدارس السيارة ، دعنا من بعض الخطباء الأميين .

انها وسيلة كبرى من وسائل تثقيف الناس ورفع مستواهم فرحماك ثم رحماك يادكتور ...

وكانما لم يبق لدى الدكتور شيىء بالنسبة للتشيع ، وقممه ، وأفكاره فراح يبحث فى الزوايا ... ينقب ، يفتش ، وكأنه وجدها اين ...؟ هذه المرة فى السادة والقديسين .

عند فروخ الزهراء ، وابو رأس الحار ، وسبع الدجيل ، مرحى للعلم ، حين يمتلىء الكأس ، وتختض الحافة . ماذا يستفيد الناس حين ينقلب البحث العلمى الى وسيلة من وسائل التندر .. الى فروخ الزهراء ، وأشياء أخرى . وخير لى ان لا أطيل ، فلا النقاش بمجد ، ولا الحوار بمسعف مادام الرجل قد أخذ على عاتقه ـ وقد جربناه ـ ان يجعل من بعض قضايانا الصغيرة ، الجانبية ، التى نحاول ان نلقيها عنا الى الوراء ،

كبش الفداء في سبيل ـ والله لا أدري ـ ان يقال له عالم محايد ام ماذا ؟ مثقف متحرر ، باحث أكاديمي •• أستاذ جليل ماذا يريد ؟ منصب كبير ، دست فخم ، حياة مترفة •

هيهات •• ثم هيهات •

ويختم الدكتور هذا الفصل المرتبك المهزوز بخاتمة يرى فيهـا ان الاصلاح الديني كغيره من انواع الاصلاح الاجتماعي ، فن له اصـول وقواعد ، ويجب ان يسار فيه على اساس من العلم الرصين •

ومن أجل هذا يضع للموضوع شروطا ثلاثة هي : ـ

١ ـ يجب ان ينبعث الاصلاح من الداخل ولايجوز ان يأتي من الخارج •

٢ ـ ان الذي يحاول الاصلاح يجب ان يتجنب فيه طريقة الارغام والاعتداء على الناس •

٣ ـ ان الاصلاح يجب ان تراعى فيه مقتضيات المجتمع وظروفه عـلى أساس ان العقائد هي ظواهر اجتماعية اكثر مما هي أفكار مجردة !!

الفصل العاشر : الوضع الاجتماعي في المدن

يقول الدكتور الوردي في هذا الفصل :

[والملاحظ ان الريف ، في هذه المائة سنة الاخيرة ، كان يبتلـع البدو الرحل من جهة ، وكان يمد المدن ببعض سكانه من الجهة الاخرى، وهذه ظاهرة ذات أهمية اجتماعية بالغة • فهي تشير الى التطور السـريع الذي جعل سكان العراق يتحولون على مراحل متتابعة ، من طور البداوة ، الى طور الحضارة] •

ان وظيفة الباحث الاجتماعي في الحقيقة تتجلى في نظرته الى المسألة الاجتماعية من حيث أسباب قيامها ، ومصدر نموها وعلى ضوء تفسيره تدرك أهمية الدراسة العسية في حسم معضلات الامور •

هنا .. يسمي الاستاذ الدكتور امداد الريف للمدينة ببعض سكانه..
هجرة الريف ... تطور .. وظاهرة ذات اهمية اجتماعية بالغة ؟!

والذي نعرفه بالدليل والبرهان ، وليس - في هـذه المرة بمعونة باحث اجتماعي - ان الهجرة من الريف الى المدينة انتكاسة اجتماعية وما هي بتطور .

أما من هو وراء هذا الامداد ، وما هي بواعثه وأسبابه فلا أراهـا بخافية على كثير من الناس ، وان لم يبحثها قلم الدكتور الفاضل .

ومن الممكن ان نطلق على هذا الفصل اسم (الكشكول) ، فان فيه عرضاً لقضايا كثيرة لا رابط بينها ، فمن الصراع الثقافي في المدن الى مظاهر الضيافة فيها الى تقاليد الكرم البدوي ، الى الولائم في المدن الى طريقة الاكل الى مفخرة القـدور الضخمة الى التماسك العائلي ، الى اللحيـة والشوارب وهكذا .

الفصل الحادى عشر : ازدواج الشخصية فى المدن .

فصل ممتع من الناحية العلمية ، أداره الدكتور المؤلف على نحو من الوضوح ، سهل به فهم الازدواج بصورة دقيقة ، لاسيما في الموارد التي استشهد بها في تطبيقاته .

الفصل الثاني عشر : التفسخ الخلقي في المدن .

حلقـة تستهوي المراهقين ، وهواة [التنوءات المغرية] ، أعدهـا الدكتور الوردي للتحدث عن الغلمـان والمقاهي والمراقص واللواط ، والشذوذ الجنسي بشقيه الايجابي والسالب !! وما حدث له ذات مرة حين كان جالسا في أحد المراقص بجانب رجل سكران ، وما كان من موقف الراقصة منه وأشياء أخرى كثيرة من هذا المعدن .

وكثير من هذه المعاني (الواطئة) سبق لدكتورنا أن تلاقى معها في أماكن متعددة من دراساته السابقة •

الفصل الثالث عشر : طبيعة المرحلة الراهنة •

يقول القارىء بعد الانتهاء من كل فصل من فصول هذا الكتاب : أن يكون هناك فصل أو ما يشبه تتركز في أصوله نتائج البحث ، وقلنا : لابد أن يكون في الخاتمة تحقيق هذا المراد ، ولكن حين الوقوف على فصل طبيعة المرحلة الراهنة ، وهو غاية المنى ، ألفينا الدكتور على حقيقته ، لم ينله التغير ، ولم يمسسه التبدل ، يغمرك بالاعلان عن كتبه القادمة • الصراع الطائفي في كتاب قادم ، عيوب الحكومة ، وشتى الادواء التي تنخر فيها في كتاب قادم انشاء الله ، والمسألة الفلانية سأدرسها من جديد وهكذا •

واذا بهذا الفصل كالفصول التي سبقته ، نتف ورؤوس أقلام وحكايات واشياء أخرى ، لا يجد الناقد مجالا يتيح له أن يرسم للبحث ـ بعضه او كله ـ صورة دقيقة الملامح ، سليمة اللون •

ان الدكتور الوردي أشبه ما يكون برائد من رواد ـ السريالزم ـ في الدراسات الاجتماعية ، ان صح هذا التعبير ، والى أن يأتي زمان تسود فيه القيم (البيكاسوية) في هذا المنحى ، سيكون هناك من يستطيع أن يدرك لغز الدكتور الوردي في قدرته على الخلط وقدرته على أن يكوّن من هذا الخلط العجيب كتبا ومؤلفات ربما بلغت في عددها عدد أصابع اليد •

والحق ان الدكتور بلغ القمة في هذا الدرك •

---

(١) عبدالرضا صادق : سفسطائية للبيع •
(٢) المقدمة ص ٤
(٣) الفصل الاول ص ٢٠
(٤) الفصل الثاني ص ٣٦
(٥) ص ٣٧٢

أنباء أدبية

● صدر عن المجمع العلمي العراقي كتاب (الشيخ محمد رضا الشبيبي فقيد الفكر العربي واعلام مجمع اللغة العربية) ، وهو يضم تراجم مفصلة ودراسة وافية عن الآثار الادبية للشيخ الشبيبي وبعض اعضاء المجمع .

● أقام المجمع اللغوي بالقاهرة حفلا تأبينيا للشيخ أمين الخولي عضو المجمع ، وقد شارك في هذا الحفل الدكتور طه حسين ومدير جامعة الازهر والباقوري عضو المجمع والدكتورة بنت الشاطىء زوجة الفقيد .

● (معجم المطبوعات النجفية منذ دخول الطباعة الى النجف حتى الآن) ، اصدره الاستاذ الشيخ محمد هادي الأميني وهو يضم ما اخرجته مطابع النجف من الكتب والمجلات والصحف والكراريس منذ دخول المطابع الى النجف حتى يومنا هذا مع ذكر اسم الكتاب ومؤلفه وتأريخ ولادته .

● صدر الجزء الثاني من ديوان المرحوم الشاعر عبد القادر الناصري وهو يضم ما تبقى من شعر الناصري ، قام بجمعه والتعليق عليه الاستاذان هلال ناجي وعبدالله الجبوري .

● برئاسة الدكتور خالد الهاشمي رئيس جامعة بغداد ناقشت لجنة من اساتذة دائرة اللغة العربية بجامعة بغداد قوامها الاساتذة : الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد والدكتور محمود غناوى الزهيرى والدكتور صفاء خلوصي الرسالة المقدمة من قبل الطالب كامل حسن البصير لنيل شهادة الماجستير في الادب العربي بعنوان (رسائل الامام على -ع-) . ومن الجدير بالذكر ان الدكتور خلوصي هو المشرف على الرسالة .

● صدر عن مطبعة الارشاد ببغداد كتاب (كيف تستخدم المكتبة) الذي

ترجمه الى العربية بتصرف السيد اياد جعفر مرزة امين المكتبة الوثائقية بديوان وزارة التربية ، ويقع الكتاب المذكور فى ٣٠ صفحة .

● جرت مؤخرا انتخابات الهيئة الادارية لجمعية الرابطة الادبية بالنجف الاشرف ففاز السادة التالية اسماؤهم : السيد محمد بحر العلوم معتمداً ، الشيخ عبدالهادى الفضلي سكرتيرا ، الشيخ محمد الخليلي أمينا للمكتبة ، السيد حسين بحر العلوم عضوا اداريا ، الدكتور عارف القرغولى مديرا للادارة والشيخ موسى اليعقوبي امينا للمال والشيخ جعفر الهلالي محاسبا .

● خسرت الاوساط الادبية المحقق الشهير الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي أمين مكتبة الحرم المكي الشريف بانتقاله الى جوار ربه ، ومن الجدير بالذكر انه حقق كتاب (الانساب) للسمعاني و(الاكمال) لابن ماكولا .

● الدكتور علي الوردي استاذ علم الاجتماع في جامعة بغداد سيمثل الجامعة فى المؤتمر العالمي السادس لعلم الاجتماع الذي سيعقد فى ايفيان بفرنسا فى ايلول القادم .

● من تأليف السيد عبدالحسين الكليدار ال طعمة سادن الروضة الحسينية وتحقيق السيد عادل الكليدار صدر مؤخرا كتاب (بغية النبلاء فى تاريخ كربلاء) وقد اشتمل الكتاب على ابرز الحوادث التى مرت بها كربلاء وتوضيح لمعالمها الجغرافية وايراد تراجم لعدد كبير من اعلام المدينة .

● كتاب (صورة الارض) للجغرافي العراقي ابن حوقل صدر الى الاسواق بعد ترجمته الى اللغة الفرنسية .

● قررت جامعة بغداد دعوة الاستاذ يحيي الخشاب رئيس قسم الدراسات بكلية الاداب فى جامعة القاهرة كأستاذ زائر الى كلية الاداب العراقية لالقاء بعض المحاضرات على طلبة الكلية المذكورة، وقررت كذلك دعوة الدكتور

محمد توفيق الطويل استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة بصفة استاذ زائر لمدة ستة أسابيع لالقاء محاضرات في قسم الفلسفة بكلية الآداب •

● الدكتور علي جواد الطاهر اعد للطبع كتابه الموسوم (محمود احمد السيد رائد القصة الحديثة في العراق) •

● مخطوطة (نخبة الشارب وعجالة الراكب) لنظام الدين الاصفهاني انجز تحقيقها الدكتور كامل الشيبي ، وهي اقدم ديوان شعري في الرباعيات ويحتوي على ٥٠٠ رباعية مع تعليق المترجم عليها •

● اصدر الشاعر عبدالصاحب ياسين مجموعته الشعرية الموسومة (ظلال الغاب) والتي تتألف من ٤٢ قصيدة تمثل مراحل مختلفة من حياة الشاعر •

● تاريخ بغداد للخطيب البغدادي اعادت طبعه احدى دور النشر في بيروت بطريقة الافست ب ١٤ مجلدا •

● بتحقيق السيد جاد الرب صدر المجلد ١ ، ٢ من كتاب الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني •

شؤون الجمعية

قررت الهيئة الادارية للجمعية تأليف لجنة تعنى بالشؤون المالية لمجلة «البلاغ» من الأساتذة الاعضاء التالية أسماؤهم :ـ

١ ـ السيد عبدالكريم المشاط

٢ ـ السيد محمد علي السبزواري

٣ ـ الحاج أحمد الخانجي

٤ ـ السيد محمد السيد عبدالصاحب الحيدري

٥ ـ السيد عدنان عبدالكريم قدوري

وقد اختير من بينهم العضو الاستاذ السيد عبدالكريم المشاط أمينا لصندوق المجلة ، فيرجى من سائر المشتركين والمتبرعين توجيه الحوالات والصكوك باسمه بالعنوان الآتي :ـ

السيد عبدالكريم المشاط ـ مجلة البلاغ ـ الجمعية الاسلامية

للخدمات الثقافية

الكاظمية ـ العراق

المحتوى